المنكود

(ثنائية طلسم٤)

المنكود (ثنائية طلسم ٤)
رواية
محمود إمام
الطبعة الأولي .. ديسمبر ٢٠١٣

الغلاف : أسامة علام
اخراج داخلي : الحلم للدعاية والاعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٧٦٨٨
الترقيم الدولي : 978-977-6412-23-1



الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف من شارع مؤسسة الزكاة - المرج
محمول : 01141824562
dar_el7elm@hotmail.com

المنكود

ثنائية طلسم ٢

محمود إمام

اهداء الي روح ابي العزيز

(محمد امام)

مقدمة لا بد منها

مرت سنوات عدة افكر مليا .. من انا فى تلك الدنيا .. من اكون .. لماذا التحقت بتلك المدرسة .. بل لماذا من الاساس التحقت بالثانوية العامة .. حيث كنت اسير كالممسوس طوعا خلف امى ذاهبا الى تلك المدرسة التى ضاعت سنة من عمرى فى التنقل عبر الفصول الست للكى جى وان .. ليس غباء منى .. او ربما ؟ ..جملة واحدة نطق بها استاذى الشاعر (خالد محمد مصطفى).. غيرت مسارى بالكامل .. ذلك الرجل هو قنبلة نووية لو اقتربت منها لأصاب عقلك امراض مفيدة تدعى (عشق اللغة العربية).. ربما لانه حينذاك كان يعمل المحرر الاول فى مجمع اللغة العربية .. وتلك البداية .. عالجنى من المس الغبائى الذى اصاب ابناء جيلى .. كان يرانى مختلفا وان بى بذرة كاتب .. كان يهاجمنى كثيرا وكثيرا .. كيف ؟.. مستبعد فكرة كون تلميذ مثلى قادر على البصم .. وليس الكتابة ..

تلك كانت لعبة اخرى .. ما من مهاجم يحرز اهداف الا وان كان مريضا بتلك الكلمة .. الهجوم .. يولد اهدافا ..

كان يقول طالب اولي ثانوى الطالب الاهبل حيث لا يعقل حينها ان يدرس الطالب ١٠ مواد دفعة واحدة او اقل لا اذكر .. هناك من طبقها على ذاته الضعيف .. واستقبل معلوماته تلك على انها دواء لابد منه قبيحة الطعم .. لا بأس سيشفى تمام بعد ظهور النتيجة .. ولكن انا كنت اختلف عن باق

الصبية .. كنت احتفظ بتلك الجملة وكأننى ولدت من اجلها ليس الاهبل بالطبع .. انما تلك المقولة (انت بذرة كاتب) .. راعيها .. وبالرغم من مذبحة الثانوية العامة .. ألا اننى نجوت بفضل ذلك الطوق الذى قذفه لى احدهم يوما .. كنت اذهب اليه كالمتسول ابغى معلومات عن القصة القصير .. عن ابيات الشعر .. فنون الرواية الطويلة .. الا اننى شعرت باليأس فى بعض الاحيان حينما قال لا انت لم تحسن فى تلك المقالة .. لا تلك القصة لم تكن جيدة .. فعلت اغرب الاشياء حينها .. هاجمته .. بأسلوب ادبى متحضر .. لم اكن ادرك اننى اتحدى استاذى باستخدم اسلوب ادبى شبه محترف .. لا يليق بسنى (بالصف الثالث ثانوى) .. فى تلك المقالة التى احسبها جريئة .. وحينها اصبنى الدهشة حينما لم يرد على تلك المقال .. ورد بقلمة على وريقة فى نفس دوسية المقال .. قائلا تلك جيدة .. خرجت من مكتبه وقمت بالقراءة والقراءة .. حتى اشتعل فتيل الكتابة بغتة فى عظام يدى ..

قمت بكتابة قصصات للأطفال بناء على تعليماته .. وقصصات صغيرة .. وروايات طويلة .. واخفيت باق الاحداث عن استاذى نظرا (للمرمطة) التى عانيت من لف ودوران فى جرائد مصر اجمعها .. تنشر لى مقال هنا وهنالك.. الى ان اتت نهاية التعب والارهاق تحضيرا لتلك الرواية الاولى .. التى توقفت كثيرا .. وبفضلها هى وحدها .. من قامت بأستكمال دون ان تشعر مسيرة استاذى المخضرم .. اكملت وبكل حماسى باق الدرس .. بكل صبر .. وحماس .. وهدوء .. و (حب)..

وها قد خرجت الرواية الى النور .. التى قمت بتجميع مفاصلها واعضاءها الحية من مصادر وجب ذكر اسمائهم قبل ان يقم احدهم بدفع رشوة لقاتل اجير للتخلص من جثتى ..لذكر اسماءهم المخلصة .. التى تعبر عن صدق المشاعر الحقيقة للصداقة

١_ الضابط الصديق رفيق الدرب (محمد مجدى عبد الوهاب).

٢_ الاعلامية (ايمان مبارك) .

٣ _ صديقى العزيز المحامى (محمد نبيه).
اذكرها اخيرا لانها كانت ممسكة بيدى فى اول الحديث ولأنها سببا لمولدى ولكل ذلك (المولد) الذى سبق الغالية .. (أمى).. و(أبى)العزيز .

محمود

قسم فضفضة الأدمن

«الأدمن».. هذا اسمي.. أبدو كشيطان آدمي.. شيطان يمتلك عروقا.. والغريب.. أمتلك قيما وعادات غريبة..

أحافظ على الاتزان دائما مهما بالغت في الأفعال الشيطانية..

حسنا.. تريد معرفة أدق وصف بليغ..

البداية..

لنضع أولا الأسطر المنمقة..

من أنا؟ وكم أبلغ؟ وأين أعمل؟ وهل أسير على دروب أبطال كثر وُضعت أسماؤهم وسطرت سطورهم بغرور ونرجسية مفرطة حتى؟

ولا تتعجب من تلك اللحظة..

لن تعلم اسمي..

فقط أترك لك اسم «أدمن» كرئيس تحرير جريدة إلكترونية..

لا تقلق.. أحمل التراخيص..

حتى تسبح بخيالك لتتذكر ملامح آخر بذلك الغرور والنرجسية..

أحمل رتبة صحفي..

معلومة جديدة هنيئا لك بها..

مهنة شاب عاطل يحمل بجعبته شهادة ليسانس آداب..

وما إن سنحت له الفرصة تقدم إلى صحيفة صفراء..

وللعجب..
نشرت لي الكثير من المقالات المتكررة..
شبكة آداب في القاهرة.. تتزعمها سيدة تبلغ من العمر... إلخ إلخ..
تقتل زوجها من أجل العشيق.. ولا بأس من وضع صورة ترفيهية لفتاة ملساء..
ما إن يراها العامة حتى...!
أنت تعلم ذلك بالطبع..
ذلك فيما مضى..
قبل هبوط شبكة العنكبوت على رؤوس الشباب من كل صوب واتجاه..
شبكة الإنترنت..
ألهمتني طابع الأخبار الفاضحة..
تركت الصحيفة.. واتجهت بكل هيام إلى ذلك المربع المضيء..
بداية من الكمبيوتر العادي (ديسك توب).. إلى اللاب توب.. صديقي الوحيد..
أنشأت جريدة إلكترونية.. مصحوبة بالفضائح غير الأخلاقية بالمرة.. للاختلاط بعالم القضاء.. وعالم النجوم.. نعم.. بعد عمليات الصلح والتقاط وريقات ملتصقا بالفنان فلان.. والفنانة... إلخ.. أصبحت الجريدة ذات صيت..
وملعونة من بعض الأشخاص الذين يحملون ذلك الضمير..
ومرحبا بها كثيرا من جميع الشباب..
بالطبع أنا أُعتبر بضعة آلاف شباب..
ولا أعلم سببا واحدا يجعلهم يضعون آيات من القرآن محذرين..
إذا لم يعجبكم الموقع إذًا.. لماذا تريدون رؤية محتواه؟!
نفاق اجتماعي..
إلى أن أتى ذلك الاقتراح..
لماذا لا نزيد أعداد متصفحي الجريدة؟

لماذا «نتصيد» شخصا واحدا.. أو بضعة أشخاص؟
حيث إننا «قادرون»...
بوضع قصص تسرق القلوب..
لا لا «أنا» لا أريد الرعب..
أريد الإثار... و...
ويلك.. ألم تكتفِ؟
حسنا..
ليتني لم أقبل..
ولكن الشعور بنرجسية.. ديكتاتورية.. غرور..
جميعها صفات للعدو الأول لبني البشر..
وأنا أنتمي إليهم.. وأعتقد يوما ما سوف أعود إلى رشدي..
وأعود تائبا إلى الله سبحانه وتعالى..
هكذا يتحدث كل شخص يعتقد أنه مخلَّد في جدران تلك الدنيا..
لم أكن أعلم أن جريدتي ستتحول إلى جريدة تحمل طابعا خاصا..
لِمَ لا نجرب قصة جديدة؟

* * *

قسم المحادثة

أدمن: نفتح مجالا للمناقشة.. المنتدى جديد.. والفكرة كمان جديدة.. آه يعني فيه كام واحد سجل نفسه في المنتدى.. بس أنا متوقع إن موقعي هيزداد الإقبال عليه.. أنا واثق.

ياسمين: هاااای.. كيفك أدمن.. ياسمين من الجزائر.. أنا سمعت إن موقعك بيتكلم عن قصص الرعب.

أدمن: فعلا، ولو عندك رواية ابعتيها أقراها الأول.. وبعدين أقرر أنشرها ولا لأ.

عيسوي: ديكتاتورية دي بقى ولا إيه؟! مش جايز فكرتي تعجب الناس وما تعجبكش؟

أدمن: تعجبني أنا آه.. المنتدى بتاعي وأنا وحدي اللي أقرر.. لو مش عاجبك الباب مفتوح.

مروى: هو ليه اسمك مش معروف ولا حتى كرئيس تحرير للجريدة؟ ليه الجريدة مبهمة الهوية؟ أنا محامية على فكرة.

أدمن: تشرفت بمعرفتك.. ومع احترامي للجهة القضائية كلها.. بس أنا ليَّ أسبابي.

عيسوي: خايف من حاجة ولا إيه؟

أدمن: تحاسب في الكلام أو «بلوك».

عيسوي: أوك.. لما نشوف روايات موقعك علشان الواحد ما يندمش.
ميدو الشقي: إيه نظام قصص النداهة؟ تحبها يا أدمن؟
أدمن: اتهرست في كتب كتير، عايز تجديد.. حاجة مبتكرة.. آه الكلام كله مهروس حتى كلامنا ده كله مهروس واتسمع أكتر من مرة.. بس برضه عايز التجديد.
سارة: دراكولا.. مصاصين الدماء.
أدمن: دراكولا بقى نكتة قديمة.. مش عاجبني بصراحة.
سارة: هو انت مغرور؟!
أدمن: لا مش مغرور، بس جايز ممكن تقولي عندي خبرات كثيرة.
عيسوي: طيب أنا عندي فكرة جايز ما تكونش اتهرست قبل كده عن رعب البحر.. إيه رأيك؟
أدمن: لو تستحق النشر ما عنديش أي مانع.. المهم الأسلوب الأدبي.
الدموي: انت يا غبي.
الدموي: ما حدش بيرد ليه؟ انت يا أدمن بكلمك.
أدمن: هديك فرصة تصلح غلطتك أو «بلوك».
عيسوي: عيب كده.
الدموي: انت مش عايز قصة رعب جديدة.. أنا هديهالك.. ما تقلقش، كل واحد اتكلم في الدردشة النهارده هيموت.
سارة: بس حاسب، اقطع راسي وحطها جنبي علشان لما اصحى ألاقيها.
أدمن: خليك محترم يا...
مروى: سيبك منه يا أدمن، إيه أول قصة هتنشرها؟
أدمن: قصة هفتتح بيها المنتدى.. اسمها عصر الظلام.
عيسوي: هههههههههه أنا نفسي بجد أكون مصاص دماء.
الدموي: هخليك.. أبشع من كده كمان.
أدمن: في حدود الأدب.

أدمن: الكل يتجمع.. السهرة هتبتدي.

الدموي: انت هتبقى الأخير.. هههههههه.

أدمن: الدموي «بلوك».

صفر: أنا كاتب روايات رعب.. متخصص في كتابات الموتى الأحياء.

أدمن: وده هو المطلوب.. ابعتها أراجعها لغويا.. ولو مناسبة هنشرها.

صفر: بس سؤال.. هو ليه حضرتك بتحب الرعب قوي كده؟

أدمن: تقدر تقول دي المتعة الوحيدة اللي فاضلة.

سارة: واوووو.. أنا كمان بمووووت في قصص الرعب.

القاتل المتسلسل: أوعدك الليلة هتلعني اليوم اللي دخلتي فيه المنتدى الزبالة ده.

أدمن: مين انت كمان؟ احفظ ألفاظك أو بلوك.

القاتل المتسلسل: قلتلك قبل كده هديك قصة مرعبة.

أدمن: بلوك.

القاتل المتسلسل: ها ها ها ها.

* * *

الرواية الأولى
من الصديق «صفر»
«عصر الظلام»

صفحات من كتاب الموتى..
لم أدرِ كم مر من الوقت وأنا أراقب ذلك الشيء..
إنه يأكل..يأكل بشريا..
أسنانه كمثل أسماك القرش.. ينهش في لحمه بلا رحمة..
ولِمَ لا؟ بعدما كان يصارع ذلك المسكين..
وقفت خلف ذلك الحائط..
متحاشيا أن تصدر مني أي تكة تنبه بوجودي..
ساعدني يا الله..
توقف عن الأكل والنهش.. ومن فمه قطرات دماء تتساقط..
يصدر صريرا مزعجا..
وقف منتصبا ورأيت كم هو طويل القامة..
له يدان سوداوان.. به شعر كثيف..
في وجهه عين واحدة بيضاء ملتمعة.. والأخرى سوداء.. أو ليس لها وجود..
باقي ذلك الوجه متقطع بشكل بشع.. يحمل بظهره جناحا أسود داكن اللون.. أخفاه الآن..
لا أدري ما هي كنيته بذلك الجسد البشري مقسم العضلات وكأنه لا يفعل شيئا سوى الذهاب إلى صالات اللياقة..
أهو مصاص للدماء؟
لا يأكلون البشر هكذا..
إنه يقترب ببطء وحذر.. وفجأة..
هبط من أعلى وحش أكبر حجما.. كديناصور عملاق..
لا تحمل ركبته أوتار أربطة الصليبي!
ولا مؤخرة القدم ذلك الأكيليس!
قدماي لا تحتملان وهما تتخبطان برجفة..
وحش آخر..

لا، أنا ميت.. ميت..
هل سيحدد ذلك القادم مصيري..
أم..
أنهما يتحدثان..
كأصوات الفحيح الذي يصدر من الأفعى؟
الأكبر حجما قال بصوت متحشرج غاضب كأصوات البشر:
- «ماذا فعلت»؟
قال الأقل حجما:
-« كنت جائعا و...».
لم يكمل الأخير إثر لكمة قوية جعلته يطير ويرتطم بحائط بجانبي..
أسرعت أختفي خلف مخزن القمامة الجانبي في الظلام فيتوجه رأسه إليّ ويراني..
ويكتب مصيري..
اقترب الأكثر حجما وقال بصوت كالرعد:
- «أنا هنا أقول من يأكل ومن يمتص دماءه.. أنا فقط»..
أكاد أرى عينيه..
عيناه تختلفان عن عيني الآخر؛ فكلتاهما تحمل ضوءا أبيض لامعا كعيني قط في الظلام..
وأسرع يمسكه من عنقه ويرتفع به إلى أعلى كـ«أندر تيكر» المصارع.. والآخر يحاول التملص في ألم..
وقال بصوت مبحوح:
- لن أفعلها ثانية.
رماه الآخر وكأنه يقذف بورقة خفيفة..
حمدا لله.. لم يلاحظا وجودي..
وأسرع الكبير ينهش في لحم بواقي ذلك الذي كان يلقَّب بالإنسان..

والأقل حجما يراقب بلذة وكأنه لم يكن معرضا للموت منذ لحظات..
يا إلهي.. ساعدني..
أمسك الكبير قطعا من كبد الضحية.. وفركها أمام الصغير.. محدثا قطرات دماء..
اقترب الصغير نحو قطرات الدماء.. وهو يبتسم.. عااااااااهج.. عاااااااج:
- طازج.
نظر له الكبير في لا مبالاة.. وأخذ يكمل بواقي اللحم..
وتبقت عظام..
وما إن انتهى.. حتى أشار للآخر.. بإخفاء الأثر..
أسرع الآخر يحمل العظام الصغيرة..
وكأنه جرسون في أحد المطاعم الفاخرة..
العالم السفلي.. يختطفون البشر.. ثم يتناولون عشاءهم..ككلاب ضالة تنقِّب بصندوق قمامة.. ثم يخفون جميع الآثار..
اختفيا مرة واحدة.. لم ألمح لهما أثرا.. أين ذهبا؟
تقدمت نحو أثر الطعام..
طعامهما..
لا توجد قطرة دماء واحدة..
التفقت حولي.. لا يوجد أثر..
لا بد من الرحيل إلى المنزل..
لا قسم الشرطة..
هل يصدق أحد قصة كتلك؟
الخوف والرعب يمزقان قدميَّ.
قدماي لا تستطيعان حملي..
لكن مادة الأدرينالين في دمائي تحركت.. وأسرعت هاربا إلى منزلي..
طرقت الباب في فزع.. زوجتي احتضنتني بقوة غير معهودة..

حتى قالت بقلق:
- ما بك؟ لم أرَك بتلك الحالة من قبلُ.
قلت لها بتوتر:
- ليس الآن.. ليس الآن..
اتجهت في لهفة إلى النافذة..
- لا يوجد أحد..
لست أدري ماذا أفعل..
ماذا سأقول..
قلت لها محاولا التمسك بأطراف الرجولة:
- حبيبتي.. غدا سنغادر المدينة.. سنذهب إلى رحلة.. سوف نقوم بجولة.. لا أريد نقاشا..
علمت الآن فائدة الزوجة المطيعة..
فلم تناقشني..
وقالت بهدوئها الذي يمتص غضب أعتى الرجال..
- أأحضر لك مشروبا ساخنا؟
قلت لها محاولا استعادة الهدوء:
- حسنا..
وتركتني.. لماذا شعرت أنها بخطر؟
صرخة..
صوتها.. يا إلهي..
أسرعت إليها بكل قواي..
ورأيت ذلك المشهد الذي جعل رأسي يشتعل شيبا.. الوحش ممسك بها..
صرخت بصوت عالٍ:
- كلا..
كلا.. إلا هي..

إلا زوجتي.. كلا.. .. اتركها وشأنها..
فقال بصوته المرعب:
- لا أحد يرانا ويظل حيا..
وسن أظفاره مستعدا لنهش جسد زوجتي..

***

جميع الأحلام.. ربما عندما تطول تكون بفعل شيطان مراهق يعشق العبث..
ربما كانت مشاهدة أفلام وحوش غريبة لها طابع خاص بالعقل الباطن..
فيختزن ذكرى ما من مشهد.. يضعها ضمن سياق مثير ضمن أحداث الحلم..
المطارد الأول قبيح الهيئة.. ربما تراه وربما لا.. الشيء المهم هو الهروب..
وتجرجر قدميك ركدا..
هروب من كيان مخيف.. لست أدري..
بالنهاية.. الشيطان تسلل إلى عقلي الباطن بوسيلة أو بأخرى..
ولكن..
أنا دائما أقول صدفة..
ورؤية أشياء بداخل الأحلام جميعها صدفة..
أجلس محتسيا كوب القهوة بهدوء..
لم أتزوج..
فقط مشاعر مستقبلية عن زوجتي هي التي تؤرقني كثيرا..
فأردد:
- هي تفهمني..
أنا أحبها..
على وتيرة مسلسلات الحب العصرية..
أخشى عليها حتى الهواء الذي يتخلل رئتيها في كل ثانية.

ماذا لو كان وحشا أراد الفتك بها؟
ما من جبان في ذلك الكون لا تتملكه شجاعة عندما يتعلق الأمر بأنثى ما؟
اختزن عقلي أوامري..
بعناية ودقة..
كثيرا أفكر وأنا أسير في منطقة ما..
فتاة تحمل أنوثة وجمالا لا بأس به..
تمر سيارة.. وأسرع كالمنقذ.. وأفتديها.. ولا بأس من إصابات طفيفة..
فمشهد سقوط البطل محبب إلى كثير من الفتيات..
وبالنهاية تصبح لي إلى الأبد..
أنا مولع بالفتيات.. مولع بالأنثى..
ترى من أختار الآن؟
تلك.. لا هذه..لا لا لا..
لا يصلحن مطلقا.
اليوم طويل.. والإرهاق ينهش جسدي نهشا..
أود الذهاب إلى النوم.. بأي ثمن!

* * *

هلاوس..
مرور سيارات.. هنا وهناك..
عجيبا.. أنا أحب تلك الفتاة.. وأكتشف أنني أحب قطة..
أحتضنها.. أربت على رأسها بحنان..
قطة ذات عين واحدة بيضاء.. والآخر ممسوحة..
تتحول القطة إلى.. ذلك الوحش..
نظر إلى الوحش بوجه بارد..كمدير مدرسة أمام تلميذ أتى برداء مخالف..
تملكتني رجولة كاملة.. كرجل أتى لدفع كفالة خروج حبيبته من داخل القضبان الحديدية.. وانتزعت الخوف من قلبي..
كمولود انتهى الوقت الإجباري بداخل أمه.
أخرج لسانه مقتربا من عنقي..
لم أهتز..
ماذا يفعل لسان طويل؟
المهم الأسنان لم تدب بعد بعنقي..
قال هامسا بأذني:
- ألا تخاف؟
لست أدري هي اقتربت من فوهة بركان من قبل..
صمتُّ..
ففي صمتي جواب..
فلا كلمات يمكن أن تقال.. سأنتقم.. من قاتل زوجتي.
- انظر بعيني.
لماذا سمعت تلك الكلمات.. وكأنها آتية من أبي.. من معلم في الصف الثانوي؟
عين بيضاء.. والأخرى سوداء.. لا، تبا أقصد.. فراغ.. لم أندهش فرأيته من قبل..
غرس ظفره بعنقي..

حتى كتم الهواء..
كألف غصة وغصة..
ماذا تفعل أيها الغبي؟
لا هواء.. لا هواء.. أختنق..
متصبب عرقا..حتى إنني خشيت اعتصار الوسادة..
لا أطيق ذلك..ذهبت واضعا جسدي داخل إعصار من المطر بـ«w.c».
مصادفة أخرى..
يمكن رؤية شخص ما بالأحلام أكثر من مرة..
ماذا عن وحش ذي جناح أسود وعين بيضاء لامعة كعين القطط.. والعين الأخرى ممسوحة تماما.. أم تراه بفيلم ما؟ لا أعتقد!
جذب عقلي الباطن الوحش مرة أخرى.. طبع صورته بمكان ما بعقلي..
كنوع من رد الانتقام..
لماذا هنا لم أفعل شيئا؟!
لماذا أقحم ظفره بعنقي؟!
لماذا اختنقت؟!
وأنا بتلك الثقة المفرطة..أنا أعلم أن الثقة هي أساس النجاة..
لا بد أنه جاثوم..لا تعلم شيئا بعد عن ذلك الجاثوم..
إلا رجلا يأتي من العمل.. ينتظر الغداء.. يجلس محتسيا مشروب الشاي الساخن..
الجاثوم سيدي هو بالنص: «تعتبر هذه الحالة شللا مؤقتا في الجسم، وتُدعى الشلل النومي. وهي تجربة مرعبة عند البعض تحدث في أثناء النوم»..
هكذا تقتنع أن ركوب سيارات الأجرة أسرع..
ولكن أكثر ثمنا..
ويعتقد أنه سوف ينتهي مثلما انتهى أبوه في تلك الحياة الأبدية..
وبذلك ينتهي الأمر بروتين..

لا بأس!
أما أصحاب العقول المثيرة.. التي تجوب العوالم..
التي تعتقد بوجود مخلوقات حية بأرض أخرى..
فلا بد أن تعتني بالنص الآتي: «بالخرافات هو شيطان يتخذ شكل عاشق ذكر ويغتصب النساء في أثناء نومهن. وفي التراث الكنسي الغربي أن الجاثوم كان ملاكا طُرد من الفردوس، شلل الجاثوم لا يحدث إلا في الخط الفاصل بين اليقظة والنوم. فيضرب الجني على أذنك أولا فلا تسمع إلا ما يُفرض عليك ويقطع علاقتك بالعالم الخارجي وينحشر صوتك فلا يتعدى عقلك وتتخدر كل أعضاء جسدك فتصبح كالمشلول مع تنميلة ببعض الأجزاء، خاصة خلف الرأس»..
أذلك ما حدث؟
- نعم..
- انشر دائرة البحث عبر موسوعة الإنترنت..
تأتي بأنقى الأجوبة..
إذًا فذلك هو الجاثوم..
كنت أعلم..
أتى مرة أخرى مصادفة..
معي..
وبالنص الآتي: «ويجثم الجني على صدرك فتشعر بحرج في تنفسك مع سرعة نبضات قلبك»..
لقد انكشفت الخدعة.. إنه جاثوم..
علميا..بسبب الإرهاق..
خرافيا هو جني.. من جنس النار..
لنختم تلك الحلقة إذًا ونقول:
كل شيء حدث مصادفة..

إذًا تنتهي قصتي مثلما بدأت..
فأقول: إنني حبيس إرهاق جسدي..
احزموا الأمتعة.. انتهت الرحلة يا سادة.. ولا شيء حقيقي..
أنا مرهق..ولا بد لي من النوم..
لا، لا بد لي من أخذ قسط من الراحة..
وسوف أعيد ذلك الكتيب إلى الزميل فيما بعد.
آه.. لقد نسيت..
أتى زميل جديد بالعمل حاملا كتابا جديدا..
تقربت بحملي كوبا من الشاي: «أنت ضيفي».. «على حسابي».. تلك الكلمات لها مفعول السحر..
استعرت كتابه منذ أسبوع تقريبا.. سقطت منه ورقة قديمة..
كورقة البردي القديمة.. لا تحمل سوى رسومات هزلية..
رجل يحمل قرونا.. وبداخله عيون..
بلا تفاهات..
كورقة دون قيمة.. فتحت «درج» مكتبي الصغير.. وضعتها بإهمال..
لا أدري لماذا ذكرت ذلك الحدث..
فالذهاب إلى النوم لا يحتاج إلى فلسفة..
بعد وضع مديري اسمه على ورقة تحمل عنوان إجازة بسبب الإرهاق..
مع وعد قاطع أن ذلك في مصلحة العمل..
سأعود في خير حال..ما أجمل الشعور بالإرهاق.. عندما تجلس بفراشك..
شعور لا يوصف.

* * *

سيدة الأقمار..تشير إلى مواقع النجوم..
قائلة: «الزهراء.. يلتف حوله ثعبان.. تخلص من الثعبان».
ونظرة ملتاعة.. مرددة:
- «تخلص من الثعبان»..
يتلاشى مشهد.. ويحتله آخر..
أعود جبانا مرة أخرى..
وسط جبال عاتية..
طريق مرصوف..بعناية..
الظلام محيط..
نصف قمر..ولكن يحمل ضوءا لا بأس به.
أسير متخبط الأقدام..أضع يدي ألتمس جوانب الجبل البارزة..
بعض الرمال تتعلق بيدي..أنفضها..
قطرات ساخنة تقطر على وجنتي..دماء حمراء..ساقطة من السماء..
دماء من؟
الوحش محلقا..
ممسكا بأسنانه الحادة عنق زوجتي..أشبه بقط سارق إحدى الدجاجات..
وهي تحمل عينين ملتاعتين..لا بد لي أن أفيق..
لا بد..
أغلق عينيَّ..وأفتحهما أجدني بالمكان نفسه..
وصوت رفرفة أجنحة الوحش تملأ أرجاء المكان..
أضواء القمر تتخافت..
أفيق الآن..
قطعة من اللحم سقطت على رأسي فأشعر بسخونة الدماء بمنتصف جمجمتي..
صوته يقول:

- أحضرت لك وجبتك.

لن أفتح عينيَّ.

- وجبتك.

- التهم.

أفيق شاهقا.. كالجثة التي تسترد روحها..كأني أتيت توًّا من عالم الأموات..

انظر إلى المرآة..

لا..طفح الكيل..

جلست على حافة الفراش..أنظر إلى أرجاء الحجرة في شرود.

وضعف..وقعت عيني على ذلك الكتاب..

أمسكته.. فتحت بضع وريقات..

لا، إنه كتاب خيالي عن الأحلام..حبيس الأحلام..

وجدتها.. وجدتها..

لقد احتفظ عقلي برواية خيالية..إذًا يحقق لي الرواية عبر الأحلام..

ولكن..

متى يتوقف انسياب تلك الأحلام؟

ومتى يتوقف معها بوادر الجاثوم؟

* * *

«وحش بعين واحدة.. والأخرى ممسوحة.. لم ترَه من قبلُ سوى في ذلك الحلم».
- صحيح.
- وما علاقة ذلك بجسدك النحيل؟
- لست أدري.
- تقول إنك تراه في كل مكان.. ومنذ رؤيته لا تسير حياتك بشكل طبيعي، أتحتسي خمرًا من نوع فاخر؟
- لا أقربها.
- أنت مريضي منذ ما يقرب من ثلاث سنوات.. ولم أبدأ بعدُ في علاجك.
صمت قليلا..
ذلك صحيح..حرفيا..إنه لم يساعدني.. ولم أساعده..
لا آكل ولا أشرب سوى القليل الذي يساعد قلبي على ضخ الدماء.
القصة مستمرة..
أعيش بجدران أحلام عجيبة..لا أفيق مطلقا..ولا أموت أيضا..
أرى سؤالا ينهش عقلك متسائلا..
الكتاب..
شأن له..
أو..
«ملبوس»..
من ذا الذي يدفع قروشا من أجل تعاسة فرد ترك منصبه؟
أصبح أشبه بالمواطن المطحون..
قرأت عنه بـ«فلاش» من قبل..
لولا بروز من وجهي.. وعيون.. لتأكد البعض أن ذلك الشخص أتى من القصص نفسها..
اختفت وسامة شاب..

وحل محلها رجل يشبه الموتى الأحياء..
باللون الداكن أسفل العين..
قال الطبيب بهدوء نافد الصبر وهو يدوِّن ملاحظته الأخيرة:
- أنا أتنحى عن علاجك.. ابحث عن طبيب آخر.
- ولكن الآخر.. لماذا؟ وهل فعلت شيئا؟ لا تتركني لهم.
- من يصدق خزعبلاتك يستطيع علاجك.. وذلك الرجل كذلك.
كنت أقول كلمات خطرت بذهني.. ولا أعنيها فعليا.. فقد اعتدت الثرثرة مع ذلك الرجل.. ولا أعتقد بوجود آخر يتحمل.
- د. بسيوني عبد الصمد.. اذهب إلى ذلك العنوان.. قل له إنك آتٍ عن طريقي، أو اطرح نفسك بمشفى العباسية.. وهناك ستجد مئات من يصدق قصصك.
- لماذا؟! هل أنا مجنون.

* * *

انتظرت دوري.. أمامي الكثير من المرضى.. ذهبت إلى د. بسيوني.. أرحم بكثير من مشفى العباسية بالطبع.

وللحق..رجل استمع لي جيدا..لم يقاطعني..وهذا المهم..

وأنا أقص له تلك الأحلام.. وحش كبير.. وآخر صغير.. وزوجة.. اجتمعت بهم في ظل الظلام.. الأماكن.. أودية وجبال..

لا يأكلون سوى البشر.

صمت الرجل طويلا وقال بصوت يبعث شعورا بالطمأنينة:

- هل كانت طفولتك قاسية؟

- كنت طفلا طبيعيا.. كثيرا ما مررت بعدة متاعب مثل الآخرين.

- أحلام.. تتحول لمتاعب.. ألا ترى أنك تبالغ؟

- تلك الحقيقة.

- إذًا قص لي بداية تلك الكوابيس.. بداية المتاعب!

- أنت لا تصدق.

- أصدقك تماما.

- حقا؟

- متى بدأت تلك الأمور.

- منذ تلك اللحظة التي أخذت كتابا من رفيقي عن حبيس الأحلام.. ولا تظن أن عقلي ينفذ.. فقد قرأت بعدة مئات الروايات الخيالية.. ولا شيء يؤثر.

شرد الطبيب قليلا وقال بهدوء:

- لو أن للكتاب مفعولا.. أعطني إياه إذًا ولنجرب أحلامك.

- أنت تتحدث جديا.

- بالطبع.. لو تسمح لي استعارة كتيبك المستعار.

- حسنا، ولكن احذر.

* * *

أربعة أيام على استعارة الطبيب لكتاب تلك اللعنة..
لست قادرا على حمل كوب ماء..جسدي أصبح هزيلا..
الغريب.. قمت بإجراء فحوصات على جسدي.. بلا جدوى..
أنا سليم.. بعض الأملاح الزائدة.. لا وجود لشبح مرض خبيث..حتى الآن..
موعد الاستشارة..
ذهبت.. ماذا لو..حدث له شيء ما؟
أأكون أنا المتسبب بخلع رأس ذلك المسكين؟!
انتظرت دوري..
نظر لي أحد المرضى بإشفاق قائلا:
- شفاك الله يا ولدي.
نظرة مستسلمة.. بلا إجابة تنم عن جهل اجتماعي.. أو قلة ذوق.. فلا بأس.
هتف أحدهم باسمي.. وقف على باب الحجرة..
طيف أبيض اللون..
تبا للمدخنين..
لا يراعون أحوال من يحتسون «اللبن» قبل النوم..

* * *

لم أبالِ..
هتف أحدهم باسمي للدخول..
وأنا أجلس على «الشيزلونج».. مسترخيا.. والطبيب في خير حال..كما يبدو..
قال:
- كتاب رائع حقا.. حتى إنني لم أتركه طيلة ثلاث ليالٍ متواصلة.
- هل شاهدت وحوشا بأحلامك؟
- ولا حتى ذبابة.
اتسع فاهي بدهشة.. وهو يكمل:
- رأي العلم.. أن عقلك الباطن.. أنه...
قاطعته بصرامة:
- تبا لعلمك.. أنا أكاد أموت أيها الرجل.. ألا ترى جسدي؟ علومك بأكملها لم تفِد، ماذا أخذت من الطبيب النفسي؟ لم يساعد.. فقط تأكلون الأموال وأنتم تستمعون لأسرار الحمقى.. فقط نريدكم أن تستمعوا.. ولا تساعدون أحدا حقا.. سوى بتوجيهات.. وإقناع العقل الباطن وحده.. ألست أنا قادرا على إقناعه وحدي؟ أنتم كاذبون.
صدمته بأسلوبي المندفع..
لم أتحمل المزيد.. فقد قمت بعصبية مترنحا..
وأنا أختطف معطفي.. واضعا يدي المنهكة..
يطاردني بنظرات صامتة..
وقعت أرضا.. مرتطما بحافة مكتبه الطبي.. خدش في جبهتي اليمنى..
دوار عنيف..
الحجرة تنقلب رأسا على عقب أمامي..
هب من كرسيه.. يحاول مساعدتي..
استسلمت.. عالج جبهتي..

* * *

جلست مرة أخرى على الشيزلونج..

تنعم الغرفة بصمت قاتم..

لا أدري ماذا أقول..

وأعتقد أنه..

- حدث لي أمر مشابه في الصغر.

نظرت له بدهشة.. وأكمل هو بتوتر:

- كنت أحطم الغرفة.. أمزق الألعاب.. أحلام مزعجة.. وبالنهاية.. وقعت أرضا فاقدا للذاكرة.. والداي قالا إنني لم أكن ولدا طبيعيا بالمرة.. حتى إن أمي كانت تصف لي روايات طويلة عن أحلامي.. وحوش ضارية تطاردني بالأحلام.. جسدي مكبل تماما.. قالوا لي إنك حبيس ذلك الجاثوم.. شلل النوم.

- وهل تصدقهم؟

- كلا.

- إذًا أنت تصدقني؟

- كرجل لرجل.. وليس كرجل لطبيب.

- وما الحل إذًا؟

- سأقوم بتنويمك مغناطيسيا.. تصف لي ما تراه.

- سوف يجدي؟

- دعنا نخُض تلك التجربة معًا.

* * *

أشعر بتكاسل جفوني..
استسلام واضح..
تسليم جمجمتي بإرادتي! ليسلبها مني..
ويفرغ ما بها من ذكريات..
غريبة تلك الحالة!
فها أنا أقع في منطقة لا مكان.. ولا زمان..
فقط ذهني حاضر..
أنا أجلس بغرفة..
خلدت إلى النوم منذ قليل..
ظلام.. ظلام..
أسمع صوتا يقول: «قص لي أشكال تلك الأرض.. وما هيئة تلك الوحوش.. وما دورك معهم».

* * *

كمخرج لأكبر فيلم سينمائي..
أمتلك كاميرا..
أعيش بداخل تلك الأحلام..
مرة أخرى..

* * *

أنا أرى..
«منذ هبطِ ذلك الكائن ولم نعِش بسلام مطلقا»..
قالها عملاق..
لا يحمل حدقة..
فقط عيون سوداء.. بقدم.. مثل أقدام البقر.. أو الماعز.. هائلة الحجم..
سمعت ذلك الصوت من متصلب العروق.. يحمل عضلات بكل قطعة في جسده.. جسد فارع عملاق يبلغ أربعة أمتار على الأقل.. تخرج من رأسه قرون.. كقرون الخراف العجوز..
ووجه يحمل وجها أقرب إلى البشر محفورا به نقوش.. أو علامات من صراعات.
بأسفل ذقنه لحية صغيرة.. ممتلئة بالشعيرات السوداء..لكنه.. ليس بشريا على الإطلاق..
يقف في كبرياء وغضب..
صوت يأتي من أعماق الجبال الحمراء..
السماء حمراء اللون.. السحب تتلون بألوان زرقاء.. وحمراء.. وبالأعماق.. لون برتقالي.
- «صف لي الأحداث».
الوحش يقول بغضب.
- «كنا نعيش بهدوء..».
«نتغذى على لحوم هؤلاء»..
أشار إلى شبيه التمساح..
ولكنه ليس بتمساح مطلقا..
نقول إنه ديناصور..
نعم الذي يقف ويداه صغيرتان..
وكأنه طفل خائف..

بجسد عملاق للغاية..
وجدتني أقول:
- المملكة تنهار.. وأنت تتحدث عن كائن طفيلي.. أنت غبي.
شعرت حينها أنه سوف ينتقم لكرامته..
نظرة شاردة..
وقال:
- معك حق.. تفكيري بذلك الطفيل أفقدني صوابي.
التفت إلى السماء قائلا:
- السماء حمراء اللون.. غبار الشاظام يجعل طيور الكيوبيا تبتعد.
نظرت مثله إلى السماء..
وأنا أرى طيورا عملاقة لا تحمل الريش..
طيور ما قبل التاريخ..
تبتعد..
وتختفي..
وهنا انتبه لي بكل كيانه..
قائلا بصرامة لا يحمل سواها:
- سوف تراقب ذلك الطفيلي.
- تبا، ألا تكف أبدا؟
لكمه من قبضته..
حطمت تلك الصخرة التي كنت أجلس فوقها بقوة مطلقة..
وقعت أرضا.. وأنا أردد سِبابًا غير مفهوم..
- نفذ ما آمرك به أيها الغبي؛ فذلك الطفيلي منذ أن أتى والجميع انقلب ضدي أيها التعس.
أمسك بقروني البارزة..
أنا أحمل قرونا مثله..

وبالطبع عيونا سوداء..
وعروقا منتشرة في كل ركن..
عضلات..
ولكمني لكمة أطاحت بي خارج حدود المنطقة..

* * *

طرت لمسافة حتى التقطني من الخلف حجر لامس رأسي أولا.. ووقعت..
وقفت كأنما لم يحدث.. ولم يؤلمني إلا برهة..
فقلت بغضب:
- لكمي لن يفيدك.. وطردك من المملكة بسبب غبائك.
- لا بد أن أعود أيها التعس.. لا بد.
- وماذا لو كان الطفيلي ليس سببا؟
مر حيوان.. إنه أسد عملاق..
أمسكه الوحش ذو القرون من رأسه.. ببساطة..
أمسك جمجمته صاحب القرون كثور..
صرخ الأسد العملاق بوحشية.. وأطبق بيديه جمجمة المسكين..
حتى تناثر رذاذ من الدماء.. على وجه الأخير..
مفجرًا بقايا عظام وخلايا رمادية تفترش الأرض الحمراء..
وبكل بساطة..اقتلع إحدى قدميه..
ونهشها بأسنان تنافس أسنان سمك القرش..
قال لي وهو يعطيني قلب الوحش بحنان الجد القديم.. (غريب!):
- خذ.. أعلم أنك تحب القلوب.
لست أدري ماذا حدث لي.. وأنا أختطف القلب اختطافا..
وأنهشه بكل حب.. وكأنني جالس مع صديق بمنزله..

جلست جواره آكل من أجزاء محددة.. يبدو أنني أمتلك ذوقا ما..
وما إن انتهينا.. حتى نظر لي قائلا.. وبشفتيه اللتين يتساقط منهما الدماء.. كطفل صغير بعد احتساء كوب من اللبن.. قال:

- اذهب الآن.. وائتِ لي بكل الأخبار.

أشعر بملامح الابتسامة على شفتي وأنا أقول:

- لك هذا.

«أفق.. أفق يا رجل»..

أفقت بحجرة الطبيب..

عيناه متسعتان.. مندهش.. فقلت ببراءة:

- ماذا حدث؟

نظر لي بصمت شارد..

رددت مرة أخرى:

- ماذا حدث؟ طمئني.

اتخذ قرار فتح فمه والنطق قائلا:

- كيف يحدث هذا في حلم ما؟ كيف تسير الأمور بحبكة غير متوافرة بالأحلام؟ إلا إذا...!

- إلا إذا ماذا؟!

- إلا إذا كنت تعيش بذلك العالم.

-ماذا؟! أي عالم أيها الطبيب؟! ماذا أصابك؟!

- من الواضح أنك مصاب بمس جنوني جعلك تنتقل إلى عالم آخر.. ويبدو أنك لا تنتقل إلا عبر تلك الأحلام.. مستحيل أن يكون ذلك حلما بالمرة! كشعور الخروج من الجسد (حقيقة علمية).

فتحت فاهي بدهشة مستنكرا:

- ماذا؟!

أأذهب يوميا إلى عالم آخر؟

لم أكن مصابا بداء الجاثوم.
وما الحل؟! ماذا أفعل؟
- نسخة الكتاب التي أعطتني إياها لم تتحدث عن هؤلاء أصحاب القرون والعيون السوداء.. ولم تتطرق إلى ديناصورات.. أو إلى شيء عن الطفيلي.
وصمت.. وفي صمته حل.. أو لا حل.
تحدث الرجل قائلا:
- انظر.. ما سوف أقوله الآن بعيد عن العلم تماما.. بعثر في حجرتك عن شيء ما غير مألوف.. انبش كل شبر.. لا بد أن تعثر على صاحب تلك اللعنة.. ابحث عن ورقة بها طلاسم غريبة..
«مفهوم».
قال لي أن أنبش منزلي غرفة غرفة..
أمزق الستائر..
أزيل ملابسي وأضعها بالماء المثلج..
أفتح ذلك «الدرج»..
شيء غريب..
يا إلهي..
إنها ورقة تحمل صورة أصحاب القرون..
غريب بالفعل.. لماذا تناسيت وجودها؟
ماذا تقول أنت أيها الذكي؟!
تقول تلك الورقة التي سقطت من الكتاب..
تقول أيضا احرقها..
وتنفك اللعنة.. أو.. لست أدري؟
بها صورة تشبه ذلك الكائن..
ولكن..
لن أحرق شيئا!

لا بأس بالذهاب إلى ذلك الرجل وأعطيه تلك الورقة..
ينظر لها بصمت..
لم يلبث أن أشركني مرة أخرى بالنظر إليها..
وكأنني لم أنَم ليلا من قبلُ وأنا أتطلع إليها منذ السنوات الثلاث..
قال:
- رأيت مثلها من قبل وأنا أبحث عن بعض نماذج كتيب «النيكرونوميكون»..
أو العزيف، ذلك الصوت الرهيب غير المبَّرر الذي يسمعه المسافرون ليلاً في الصحراء.. تطلعي نحو عوالم لا طبيعية أخبرني بحقيقة واحدة.. كل واقع يمس الخيال.. وكل خيال يمكن أن يصبح واقعا.. وإلا ما اخترع عباس بن فرناس نظرية التحليق طائرا.. ولا اندهش العالم من نظريات آينشتين عن النسبية..
ونحن الآن أمام واقع بيني وبينك.. الانتقال عبر العقل.. نقلة زمنية.
وصمت..
محدقا إلى الصورة أكثر..
قطعت صمت الحجرة قائلا في خفوت:
- وهل انتقلت إلى المستقبل.. أو للماضي البعيد؟
- الرسمة قديمة.. والورقة أيضا تبدو كذلك.. بها طلاسم غريبة.. حسنا.. ارحل الآن.. ودعني أفكر.. ولو حدث شيء جديد سوف أجري اتصالي بك.. لا تقلق.
يقول لي: لا تقلق..
حقا؟
يا له من متفائل..
ليالٍ كثر مرت..
ولم يحِن موعد الاتصال المزمع..
لم يحِن لماذا؟
أمنع نفسي من إجراء اتصال..
عسى في الانتظار..

صبر ينير ذلك الطريق المظلم بعقلي..
أو علاج..
لا بأس..
فأنا أذهب الآن أرتشف من الصنبور..
كقطة تعيسة..
تركها أصحابها تتسول بعدما كانت تنعم بفراش وثير وأحلام النعيم.

* * *

تردد صوت الطبيب في أذني كصوت ضميري..
العزيف هو «ذلك الصوت الرهيب غير المبرَّر الذي يسمعه المسافرون ليلا في الصحراء.. وقديما فسره العرب بأنه أصوات الجن والشياطين التي تسكن الصحراء.. قال لي أبي يوما: تزور مخلوقات ما وراء الطبيعة ذلك الشخص الذي يعيش في وحدة مخيفة.. (الوحدة المخيفة).. زوار عالم الناس.. التي ترافق وحدة من يسافر وحده ليلا.. فيكون العزيف هو أنيسه الوحيد..».
يبدو أنه محق..
فمنذ وفاة آخر شخص لي في تلك الدنيا..
وفاة أبي..
واتخذت الوحدة حبيبة..واتخذت الكتاب خير صديق..
والعمل.. درعا..والمال أقرب الأقربين..
فلِمَ لا؟
لِمَ لا يتقرب مني صوت الصحراء..
ويقدم الأحلام «عربون محبة».. كما يقولون؟
ولا أدري ما وظيفتهم حتى الآن!
نعم.. هؤلاء من يقولون دائما..

السؤال الذي يُطرح الآن..
لماذا لم أرَ بالأحلام ذلك الكائن مقطع الوجه..ممسوح العين..
والآخر الأكبر حجما؟
أنا لا أفهم شيئا..لا أفهم شيئا مطلقا..
أنا أغبى مخلوق على وجه تلك الأراضي العربية..
اهتز هاتفي النقال..يحمل على أعتابه..شرور الكون..
إنه الطبيب.
قال لي بصوت شغوف:
- ماذا تشعر الآن؟
- إرهاق.. وعظامي تؤلمني إلى أقصى حد.
- حسنا، أنا أنتظرك اليوم في تمام الساعة السابعة مساء.
- هلا وجدت جديدا؟
- لن تصدق.
- ماذا؟!
- تلك الطلاسم القديمة.. تحمل لنا مفاجأة.
- أنا لم أفهم شيئا.
- ربما سوف أخبرك لو أتيت لي بموعدك.
أغلقت الهاتف..
وقلبي يزداد بخفق الدماء كـ«خلاط»..
يعتصر بلا شفقة طماطم مسكينة..
أو دمائي.

* * *

«داخل المملكة»..أرى أنثى جالسة على مقعد الملكة..تنظر لي متفحصة..
تقدمت بخطوات واثقة..غير مبالٍ..ولن أصفها..
فهي أنثى ذلك النوع.. فلك أن تتخيل هيئتها بنفسك.. ولكن دون خدوش بوجهها..
خفضت رأسي في احترام.. وقلت دون النظر إلى وجهها:
- مولاتي.
قالت لي بصوت أنثى ذلك النوع:
- ما أخباره؟
- سيئة للغاية.
- ماذا يريد؟
- يريد العودة إلى المملكة.
نظرة قاتمة..
لا تدري.. أتفكر أم تشرد قليلا.. قبل أن تقول:
- هل يثق بك؟
- ثقة عمياء.
- حسنا.. قل له إنني غفرت له وليأتِني راكعًا.
انصعقت من قولها فقلت بتوتر:
- كيف يا مولاتي؟ كيف وهو قد حاول قتلك أكثر من مرة؟ أخشى أن...
- اصمت.. أنا أقول وأنت تنفذ.
- وماذا عن الطفيلي؟
- وماذا عنه؟
- لا شيء.. مجرد سؤال.
اشتعلت عيناها بوهج ناري.. أنا أعلم جيدا بماذا تشعر..
بالنصر.

* * *

«لن تصدق»..
قلتها لصاحب القرون..
أكملت ملاحظا لهفة تختفي خلف قناع من الجمود..
- قالت لي أن أعود بك إلى المملكة.
نظر لي بعينين سوداوين لامعتين..
فقال بصوت يأتي من أعماق بئر عميقة:
- حقا؟
- قلت لها ما أخبرتني به.. فأمرت بعودتك.
- إنه انتصار.. لقد انتصرت..
صدقت عندما قلت إن شعور الظفر معناه أن تشتعل العيون..
فعيناه اشتعلتا كقطعة من الخشب مسها النيران..
وهنا قال:
- إذًا لنحتسِ نخب ذلك الانتصار.
وأخذ يركد في سرعة أقرب إلى سرعة الغزالة.. وقفز عاليا..
على أشجار عالية.. بداخل تلك الغابة.. التي يعلوها كائن من فصيلة الديناصورات طويلة العنق.. الذي يأكل ببراءة أطراف شجرة عالية..
اختطف صاحب القرون.. مخلوق أشبه بمخلوقات القرود، ولكن هذا أكبر حجما من أعلى شجيرة.. و...
وكالذي يحمل طفلا صغيرا..
هبط أرضا..وأخذ يقاوم..
وضعه أرضا..أمسك رأسه..
لا تفعلها..
واقتلع رأسه مرة واحدة..
محدثا نافورة دماء تصرخ من عنق الضحية..
أحضر ما يشبه الأواني الفخارية..

وصب قليلا من الدماء من نافورة الدماء المتساقط..
أعطاني قنينة.. قائلا بظفر:
- هيا احتسِ.. هذا نخب انتصاري العظيم.
أمسكتها بحرص في تلك المرة.
شعر هو بذلك.. فقال ممسكا ذراعي بقوة.. ناظرا إلى وجهي بقسوة يتساءل:
- ما بك؟
- أشعر بقلق.
احتسى الدماء كلها في جوفه..
ونظر إليَّ بعدها.. قائلا:
- سوف تندم.. سوف تندم تلك الملكة.. كثيرا.

* * *

ساحة المملكة يفترشها دماء..وبقايا من عظام كبيرة الحجم..روائح نتنة..
بالنسبة لهم كأغلى العطور..
صغار هنا وهناك..يتدربون على الصيد..
وبالطبع تلك البقايا أثر ذلك التمرين الإجباري..
انفتحت أبواب المملكة..
والخدم..من نفس فصيلة القرون..لكنهم قليلو الحجم..مثل خلايا النحل..
الأكبر حجما الملكة..والقليلون هو الخدم..
ربما..
الملكة كانت هناك..بجوارها وزيران..
كانا يتحدثان قبل دخولنا..
وما إن اقتربنا..حتى صمتا..
فقالت الملكة لهما:

- اذهبا.. وأحضرا «ريكا».
ضحك بجواري كنهيق أعتى الحمير قائلا:
- قررتِ إعطائي الطفيلي.. ذلك الصواب.
نظرت له بصرامة قائلة:
- من قال هذا؟
- إذًا لماذا أمرتِ بإحضار الطفيلي؟
- سوف تعلم.
أحضر الوزيران قنينة أشبه بالزجاج..
ووضعاها أمام كرسي المملكة..
أمامنا وأمام الملكة..
وهنا قالت الأميرة:
- تعلم لماذا أصبحت ملكة؟ ليس لأنني من فصيلة ملكية.. وليس لأنني أكبر حجما.. بل لأنني أكثر ذكاء من مجتمع الأقزام.. وعندما أتيت من مملكتك وقررنا ضم مملكتي وممتلكتك.. حاربت أنت لتحويلي إلى قزمة لتنفرد بالحكم.. وأنا أصبر..
أنجو من أفعالك في كل مرة وأعطيك فرصة.. وأمهلك.. حتى تسترد عقلك مرة أخرى.. أنت لا تستحق أن تدنِّس ذلك القصر.. قصر المملكة.
وهنا قال بغضب:
- إذًا لماذا قبلتِ دخولي قصرا مدنسا من قبلُ؟
- لأعطيك ما تستحق.. هل تعلم ذلك الطفيلي ماذا يفعل؟
وهنا شعرت بأن منتزع الرؤوس شعر بخوف عندما صمت.. وأكملت الملكة:
- ينتزع قرونك.. ويحول عينيك إلى اللون الأبيض.. وينكمش حجمك.. ويصير لك جناح مثل الكائنات الأدنى.. فتصبح من العبيد.. وذلك ما تستحقه.
وهنا..أسرع نحوها..
وأخذ يلكمها لكمات.. مولدة شرارات كهربية.. كلما اقتربت لكماته من

قرونها..
وأخذ يصرخ في جنون:
- لماذا لا تموتين؟ سأقتلك.
كأصوات الرعد.. أستمع إلى اللكمات.. في صمت وهي ممسكة بقرونه..
فقط.. وأمسك رأسها.. سوف ينزعه..
ويصبح ذلك القانون..
البقاء للأقوى..
وهنا ديناصورات صغيرة الحجم من كل صوب نحو الملكة..
فقط تسقط فوقه لتمنع اللكمات.. تطير إثر لكمات الرجل..
لا أحد يمنعه..لا أحد يقف بطريق هدفه..
نحو السلطة.. والسيطرة..
لا أحد على الإطلاق.. حتى أنا..
وقبل أن يقتلع رأسها.. هب الوزيران.. وقاما بفتح عنق القنينة..
وخرجت منها أشباح سوداء اللون.. واخترقت جسد العملاق الوحشي..
الذي هدأت لكماته..وأخذ يضرب بالهواء..وصرخ في ألم..
صرخات كالرعد.. صرخة نهاية وحش..
أخذت قرونه بالسقوط.. جسده ينكمش.. صرخاته تفقد صريرها الوحشي..
أما الملكة.. فقد وقفت مترنحة..
تنظر له بتعالٍ.. وهو مسجى على بلاط المملكة كالذليل..
فقالت الملكة بغضب:
- حتى الخدم يحملون قرونا.. أطعموه للصغار.
ونظر بعينين افتقدتا بريقهما..
فقال متوسلا في ألم:
- الرحمة.. الرحمة.
وهنا هبَّ الخدم أصحاب القرون الصغيرة..

أمسكوه..
بعدما خرجت الأشباح السوداء خارج جسده..
تنظر لي الملكة..
وعلى شفتيها ابتسامة النصر وبعيونها السوداء التي اشتعلت.. بعدما قتلت آخر عملاق كان يهدد عرشها.. قالت للخدم بصوت مسموع:
- اصنعوا من جلده ورقة.. يتعلم منها أجيال من نسلي الملكي.
أشارت لي.. ولن يعود مرة أخرى سوى بالـ....
لم تكمل سر عودته وهي تنظر لي..
- أما أنت.. فالخائن في تلك المملكة يصبح بعين واحدة.. جزاء الخيانة.. قبل أن يتحول إلى عبد.
وخرجت الأشباح السوداء نحوي..
اخترقت جسدي..
ألم رهيب..
شعور الانكماش..
لا، لا.. لا أتحمل.. آآآآه.. لا.. الرحمة.

* * *

«أفق يا رجل».
أنا بحجرة طبيب..
أشعر وكأن عظامي محطمة..
فقلت في ألم:
- ماذا حدث؟
كتم انبهاره.. بل انتصاره.. هذا ما رأيت بعيني الرجل.
فقال الرجل والابتسامة تأكل نصف وجهه:
- عبد الله الحظرد كان على حق.. كتيب العزيف كان على حق.. كانت هناك كائنات قبل الإنسان.. هذا انتصار للخيال.. سوف أحقق انتصارا علميا.
- أنا لا أفهم شيئا.
أمسك بالورقة.. وهو يشير إلى صاحب القرون قائلا:
- لقد قُتل «الحظرد» على يد وحش مثل ذلك الوحش.
مشيرا إلى رسمة صاحب القرون:
- أنت كنت بروح ذلك الممسوح العين.. عندما نظرت إلى الصورة يوما ما.. اقتحمت بطريقة أو بأخرى عقل ذلك العملاق.. وحينها نما عقلك الباطن أكثر وأكثر في عالم الأحلام.. حتى امتزج بذلك الكون الآخر.. أو العالم القديم.
قاطعته في شك:
- أنا لا أفهم شيئا.. دعني أذهب من هنا.
- أبدا، لن ترحل.
- هل تهددني؟
- ليس قبل أن أطبق ما بتلك الورقة.
- دعني يا هذا.
أمسك بذراعي في جنون:
- أنت اكتشافي العلمي.. لن أتركك.. على جثتي.
- أنت مخبول.. مخبول.

- قُل ما تشاء.. لن تذهب قبل تنويمك مرة أخرى لأعلم سر تلك الورقة.
ولطمته في صدره بقوة..
طار بعيدا..
من أين أتيت بتلك القوة؟
يا إلهي..
ماذا فعلت..
ذهبت له في لهفة..
يتوجع.. مصدرا آهات الألم..
- إذًا تلك الورقة هي مشكلتك.
أمسكت تلك الورقة.. أخرجت عود ثقاب.. ثم..
أحرقت طرفها..
صاح الرجل صارخا:
- لا تفعل.. لا تفعل أيها الغبي.
- هكذا تنتهي المتاعب.. متاعبك على الأقل.
وهنا.. شعرت وكأن أحدهم يشوي عظامي.. كصوت طرقعة..
تكسير الأخشاب..
ارتفعت قامتي..
إحدى عيني لا أشعر بوجودها..
أشعر بقوة عجيبة.. في جسدي.. أشعر بشعور نهم الجوع..
صراخ في الحجرة..الطبيب يصرخ..
لا أدري بشيء سوى ذلك الجوع..
ما ذلك اللحم الحي الأبيض؟
أمسكت جمجمته..انتزعتها..
لقد عدت..

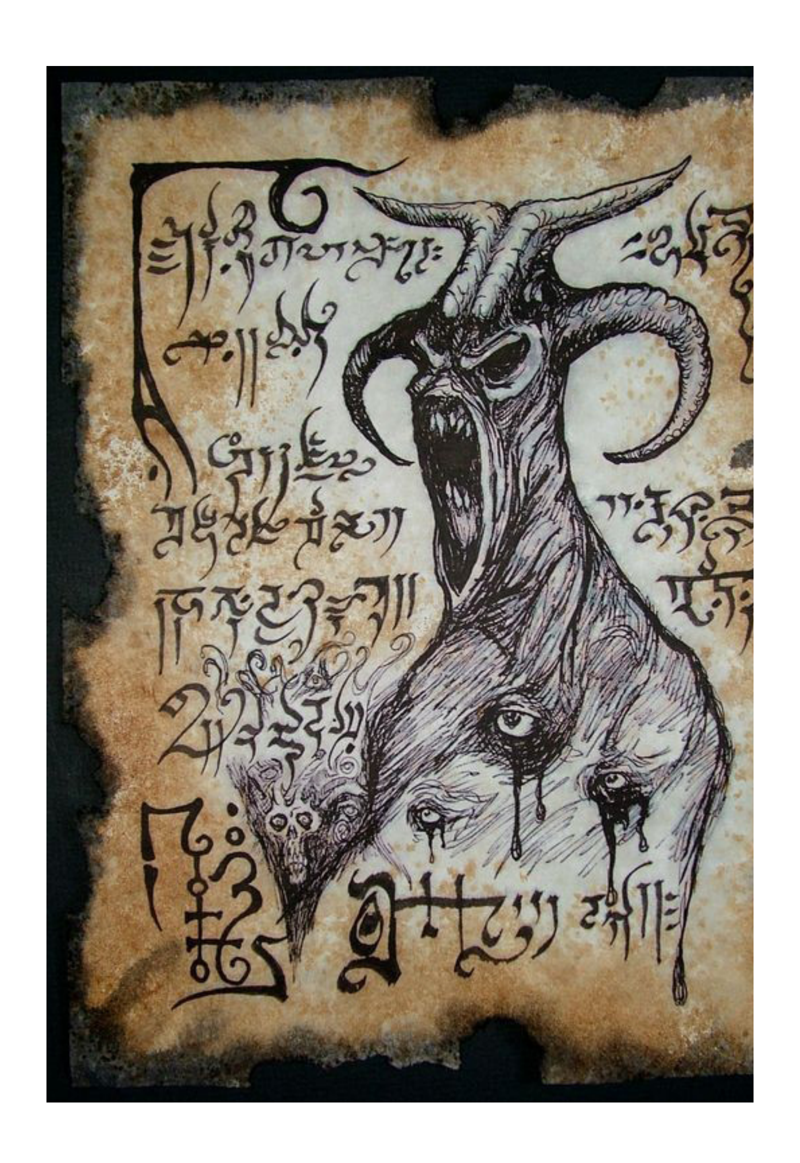
* * *

أفقت متصببا بالعرق..
تبًّا.. بماذا كنت أحلم؟
لا أتذكر..
وضعت رأسي بأسفل الصنبور..
أشعر بإرهاق..
لقد استعاد جسدي تمام صحته.. حتى بنيتي أصبحت قوية..
حسنا سوف أخبرهم بقطع تلك الإجازة اللعينة..
عدت أفضل مما كنت سابقا..وها أنا أقرر العودة إلى العمل..
وعند طريق العودة..لفت انتباهي خبر بجريدة يقول..
مقتل الطبيب النفسي الشهير على يد مجهولين.. بوحشية.. جثته لم يبقَ منها سوى القليل من العظام.
لم يكن له أعداء..
العزاء اليوم بمسجد...
لم يلفت انتباهي قليلا..
فيوميا تحدث جرائم قتل واختفاء مختلفة..
ولكن شعورا بداخلي بأنه في الأيام المقبلة سوف تكثر تلك الحوادث بجنون..
وعندما جلست بمكتبي.. في ذلك المبنى..
حدثني زميلي بالعمل.. قائلا:
- هل أعجبك ذلك الكتاب؟ هل تذكر؟
- بالطبع.. إنه ممتع ولذيذ.
ضحك ضحكات كثيرة.. قائلا بمرح:
- هل تذوقته؟
- تحديدا في تلك النقطة التي تقول: يعود بحرق الورقة.
وضحكت..
وارتفعت ضحكاتي..

أكثر.. و... نظرت له بعين واحدة مشتعلة..
«وأتوق للمزيد».

«تمت»

* * *



غرفة المحادثة

سارة: بجد هايلة «y».

وائل منصور: هايلة في إيه؟ دم ناس.. وبشر بدماغ بقر.. قرف.. يا غبية.

ميدو الشقي: لا كده بتغلط.. حاسب على كلامك.

وائل منصور: وانت مالك يا سبع الرجالة؟ هي عينتك ليها محامي؟ مش فيها لسان؟

ميدو الشقي: البنت بتقول رأيها.. كل واحد ليه رأي.

وائل منصور: الرواية اللي كتبها زبال.. واللي نشرها متخلف.

أدمن: وائل منصور.. «بلوك».

وائل منصور: إيه ده؟ حظر مرة واحدة؟ أنا بقول رأيي.. مش لكل واحد رأي؟

سارة: بصراحة أحسن رد للأشكال اللي زي دي.

أدمن: عجبتك الرواية؟

سارة: جداااا.

مصطفى خلف: أنا لسّه مخلصها حالا.. بس مش شايف إنها غريبة حبتين.

أدمن: ؟؟؟

مصطفى خلف: يُعقل يعني بعد ما يحرق الورقة يتحول؟!

أدمن: طقوس خاصة تقريبا في كتب الماسونية لما تحرق ورقة الطلاسم تندمج روح الميت القديم بالكائن المضيف.. خصوصا لو كنت قريت في كتب زي

دي.

سارة: يعني تقصد إن الكلام ده عبارة عن طلاسم ماسونية؟!

أدمن: جايز آه.. وجايز لا.. تفكير شمال نتيجة لوساوس شيطانية.

سارة: مس شيطاني؟!

أدمن: مظبوط.

مصطفى خلف: عندي ليك واحدة شبه دي بس من نوع تاني خالص.. فيها حبة من الواقع.. هتلاقيها بالتأكيد في صندوق الوارد.

أدمن: هشوفها لو عجبتني هنشرها إن شاء الله.. أيوه كده المنتدى بقى ليه طعم.

مصطفى خلف: هكون فرحان بجد لو نشرتها.

سارة: عارف حاجة يا أدمن.. بالليل في الوقت ده.. مش عارفة بحس برعب شوية.. صور خيال أو شبح في أوضتي شكله اسود.

كلاا..

أدمن: شبه مين؟

مصطفى خلف: سارة.. انتي فين.

أدمن: ردي يا سارة.

مصطفى خلف: شكلها مشيت يا أدمن.

سارة: يا ويلكم مني.. كلكم.

أدمن: آآآآه فهمت.. عايزة تضحكي على عقلي يا سارة.. هاها.

سارة: أنا مش سارة.

مصطفى خلف: انتي مين؟

سارة: الدموي.. وهشرب من دم كل واحد فيكم.

أدمن: سارة.. «بلوك».

مصطفى خلف: هههههههههههههه.

* * *

قسم الروايات

الرواية الثانية من الصديق «مصطفى خلف»

«المنكود»

صاحب الحظ السيئ..

أنا تمرجي..
مهنة.. مجرد مهنة.. لفظ غليظ، وعمل غريب، التعامل مع الأدوات والأسلحة الطبية، وبالطبع الأطباء العباقرة..
لا تتطلب الكثير من الجهد، فقط مساعدة ذلك الطبيب.. أدخل المرضى حسب الأدوار والنظام..
انتقلت إلى إحدى العيادات الخاصة لطبيب أسنان.. رجل صارم وقاسٍ.. لا ينقصه سوى أنياب دراكولا، ويصبح مصاص دماء للأموال.. رأيته في مرة يطالب أحد الزبائن، المعذرة أحد المرضى، بالنقود، والمريض ليس معه ما يكفي، فطالبه المسكين بأن يعطيه فرصة للجلسة المقبلة، ولم تفلح توسلاته، وآخر لا يجرؤ ذلك الوغد على طلب قرش واحد منه؛ لأنه وبكل بساطة أحد رجال الشرطة المهمين.. ابتعدت عنه ابتغاء مرضاة الله.. كي لا يوجه أحدهم الدعاء على الطبيب والتمرجي، وعندما تركت ذلك الوغد، وفي تلك المرة طبيب آخر، ويا إلهي..
رصين..هادئ..وجهه به وميض أبيض..
رحيم بالمرضى.. نعم هكذا يكون الطبيب.. ولكن..
يجب وضع خطوط في كل اتجاه بجانب وأسفل ومن كل أجزاء تلك الكلمة.. «بخيل»، وذلك مرض لعين.. لا يشعر به صاحبه.. ولا يتطلب الأمر المزيد من التكهنات، تركت العمل، وسرت مبتعدا من هذا إلى هؤلاء..
والجميع أرى في عيونهم أشياء عجيبة.. لا يصلح أحدهم أن يقترب من لقب طبيب.. حتى استقر بي المطاف أخيرا في عيادة طبيب نفسي، ولأول مرة أجد الراحة الذهنية والنفسية..
كنت آخذ مبلغا يسيل معه اللعاب، كان يعتبرني حالة خاصة جدا، يمكنك القول هو يراني حالة خاصة «مريضا».. ولا يهم، الأهم أنه يعطيني المال.. فهو يكفي.. اكتشفت أن خلايا مشاعري تعشق مادة علم النفس، وعلى الرغم من شهادتي الضعيفة فقد راق لي الأمر؛ فجميع المرضى لا تعتقد أنهم

مرضى؛ فالشائع أن الطبيب النفسي يعالج المجانين، لكنهم ليسوا كذلك.. هناك الهادئ، والبريئة، والصارم والجاحظ، و.. و.. و.. لا أعلم لماذا هؤلاء مرضى وهم يرتدون الملابس الجديدة والفخمة، يدفعون مبلغا وفيرا للطبيب، لماذا مرضى إذًا؟! أرى أحدهم يخرج من سيارة ليموزين طويلة ويدخل للطبيب، يدفع ثمن الكشف، وينتهي، «عالم مجانين»..

وفي يوم.. يوم غريب..وحار، ولا يتحمل رؤية ذلك الشاب.. وجهه يدل على أنه قادم من داخل الصعيد الجواني، سوى أنه نحيل للغاية، تحت عينيه ظهر اللون الأسود، شارب قصير، مع شعر مجعد، وقف يتطلع إليَّ بشيء من اللامبالاة ومطَّ شفتيه قائلا:

- أريد مقابلة الطبيب.

فقلت كالمعتاد: اسمك.. سنك، انتظر قليلا.. أخبرت الطبيب.. قال: «أدخل المريض»، ودخل الشاب كالإنسان الآلي، هذا يبدو مجنونا لا محالة..

في اليوم الثاني، الشاب نفسه وقف مرتعدا.. جلس بجانبي.. قال وكأنه سيصاب بحالة تشنج:

- هل الطبيب بالداخل؟

فقلت بحذر:

- لا، أنت تعلم أنه يأتي في تمام الساعة الـ...

قاطعني كالمجنون قائلا:

- إنه لا يصدقني..لا يصدقني.. يعتبر كل ذلك وهما.. وهما.

فقلت بإشفاق محاولا تهدئته:

- لا، بالتأكيد يصدقك، إنه فقط يبدأ معك المرحلة الأولى من العلاج..

-لا.. أتعلم لماذا؟ لأن قصتي لا تصدَّق، لا أحد يصدقها.

اقشعر بدني، هكذا سوف يبدأ.. إنه حالة خطرة، يا ليتني لم آت مبكرا إلى تلك العيادة اللعينة.

- فقط استمع لقصتي، استمع فقط..

قالها كالغريق وهو ممسك بذراعي، ولِم لا؟ سوف يسليني قليلا حتى يأتي ذلك الطبيب، فقلت:

- حسنا، ولكن لن أعطيك نصيحة.. أنا مجرد تمرجي.

- استمع فقط.. أريد أي جنس بشري يعلم بقصتي قبل أن يقتلوني..

انتبهت بكل حواسي لكلمات الرجل الذي قص كل التفاصيل.. بلا استثناء.. لتمرجي.

* * *

لقد تحسست جوانب العذاب وأنا أبحث عن منزل بجوار عملي الجديد، أنا قادم من إحدى محافظات الصعيد، والباحث عن شقة في مصر الكبيرة وبثمن «معقول» كالذي يبحث عن «إبرة في كوم قش»، وأخيرا بعد البحث والتنقيب ظهرت شقة متواضعة ورخيصة، بل يمكنك القول إنها قذرة.. معذرة..

إنها غرفة واحدة بها كل شيء، «بوتاجاز»، ودورة مياه مغطاة بمفرش سميك وفراش، وللحق أنه «أنظف» جزء في المكان تفوح منه رائحة عطرة، ولكن تلك ليست مشكلة، بل ستندهش عندما أقول أنا لا أبالي بتلك الغرفة، لقد انصب اهتمامي على جيراني المجانين، الذين يصرخون ليلا ونهارا، لم أبدِ اهتماما وأنا أذهب يوميا إلى العمل وعند العودة إلى غرفتي الصغيرة، أرتمي على فراشي، ولم تمض على نومي ساعات ثلاث حتى أسمع صراخ سيدة كبيرة، تقول:

- ارحلوا، ارحلوا.

لا يعنيني مع من تتحدث، فقط أريدها أن تصمت وتتركني أستمتع بنومي.. ما زالت تصرخ، أمسكت بـ«المخدة»، ووضعتها على أذني.. الغريب أن الصوت اختفى عندما سددت أذنيَّ، ونمت نوما عميقا.. وفي اليوم التالي كعادتي أذهب إلى عملي في ضيق وإرهاق، السبب معروف.. لم أنم جيدا بالطبع.. شعرت

برهبة في طريق عودتي إلى المنزل، إلى تلك الحجرة الصغيرة.. الكئيبة..
وقبل أن أحشر ذلك المفتاح بداخل «الكالون» رأيت قطة صغيرة.. بريئة..
تنام بجوار الباب، وقفت أتطلع إليها في صمت، هل أضربها بقدمي تاركا إياها تموت بعيدا عن هنا؟ الغريب عندما طرأت تلك الفكرة في رأسي، رأيت سيدة نحيلة تقفز من جواري نحو القطة، احتضنتها في حنان، ونظرت إليَّ بنظرة نارية شعرت وكأنها اخترقت كياني..
تصلبت شراييني في خوف، ولا أعلم لماذا..
فقد أخذت القطة وهبطت على الدرج في خفة، ولأول مرة منذ ثلاثين عاما ينفذ الخوف إلى داخل قلبي..
لا أعلم لماذا..
ذهبت مرتعدا في مشهد غير ملائم لرجل في سني..
وفي فراشي الوثير راح عقلي ينتقي الخوف من ذلك المشهد، هل الخوف من السيدة؟
ولماذا؟!
إنها قرأت أفكاري.. نعم التفسير المنطقي لتلك الوقعة أنها علمت أنني سوف أركل تلك القطة، فهرعت مسرعة لإنقاذها..
شيء سخيف.. لا بد أن أبعد تلك الأفكار عني وأذهب إلى رحلة في عالم الأحلام.
والغريب أنني نمت بعمق، بل في تلذذ غريب..
الصدمة في الصباح.. هل تعلم ماذا رأيت بجواري في الفراش؟
كانت هي.

* * *

القطة..
بجواري..تنظر إليَّ بغرابة..
البلاهة ظهرت على ملامحي، ولو شاهدني أحد فسوف يقول إنني أتقمص شخصية إسماعيل ياسين في أحد أفلامه الهزلية..
النافذة الوحيدة كانت مغلقة، وباب الحجرة أيضا.. فمن أين أتت تلك القطة؟ وكيف دخلت غرفتي؟ حقا لا أعلم..
لا أصدق بالخوارق.. لكنها حقيقة.
حقيقة واقعية..
وقفت منتصبا ناظرا لها بدهشة.. توترت أعصابي وقلت مرتجفا:
- كيف دخلتِ هنا؟
شعرت لوهلة أنها سوف تعطيني جوابا شافيا من تلك النظرة الطويلة التي ألقتها عليَّ، ولم تلبث أن أشاحت وجهها وأخذت تلعق يدها في لا مبالاة، وكأنني لا شيء..
وقبل أن أمسك بذيلها لأبعدها عن الفراش..
تعالى صوت طرقات الباب..
وتعالت رعشات الفزع في الأوصال..
وكأن الشرطة علمت بجريمتي وجاءت لتأخذني لحبل المشنقة.
ذهبت مسرعا وفتحت الباب لأجد تلك السيدة..
هي ذاتها النحيلة.. جرت مسرعة نحو القطة واحتضنتها مرة أخرى بحنان، ونظرت إليَّ بالنظرة النارية نفسها، وحاولت إخراج كلمات من فمي فقلت بهمس متوتر:
- من أنتِ؟
لم تجِبني وهي ترمقني بغضب..
هل تعلم ذلك الشعور الذي ينتاب المرء وهو في كابوس؟
يكبل جسدك ويجعلك غير قادر على الحركة والنطق..

ذهبت بخفة، تاركة أبلهَ ملثما بالغباء..
وقفت طويلا أنظر إلى ذلك الباب.. محاولا فهم الوضع..
أين؟ ... متى؟... كيف؟
لن أفكر.. ذهبت مسرعا أزيل لحيتي، وأغرق وجهي بالماء المنعش وأخذت معطفي برشاقة.. ذهبت مجددا إلى عملي..
في تلك المرة، وفي طريق عودتي، ظللت أفكر ألف مرة، ماذا سأفعل مع القطة؟ هل سأتركها تنام على فراشي، وأنام بجوارها أرضا، لأرضي تلك السيدة الشيطانة؟
وقفت أمام باب حجرتي ممسكا المفتاح بيدي اليسرى..
متحجر..
أنا منتظر رد الفعل القادم، لم يحدث شيء، أدخلت المفتاح وأنا أنظر إلى الباب وكأنني أنظر في مرآة.. أنتظر القادم من خلفي..
لم يحدث شيء أيضا، استجاب الباب ليدي وأنا أدفعه للداخل بحذر زائد..
أخذت أبحث عن تلك القطة، تحت الفراش..
وتلك الأريكة..
الحجرة خالية تماما..
الآن يمكن النوم، تمدد جسدي في إنهاك على ذلك الفراش، ورحت في سبات عميق..
أفقت من نومي في نشاط ملحوظ، لاحظت نمو لحيتي بشكل مخيف لم ألاحظه، الغريب أنني أزلت لحيتي البارحة، نعم أنا أذكر هذا، على ما أعتقد..
شيء غريب، أخذت أزيل لحيتي مرة أخرى، ولاحظت وللمرة الأولى أني أصبحت نحيلا.. كيف؟ ومتى؟
لا أعلم، اختطفت المعطف، وفتحت الباب.. هناك رسالة ملقاة أمام باب حجرتي، ما هي؟
يا إلهي، إنها من عملي، يقولون إنني تغيبت عن عملي دون إذن مسبق

ولمدة أسبوع كامل، ولكن كيف؟ التاريخ في الورقة يقول تغيبت من يوم السابع عشر من نوفمبر إلى اليوم الرابع والعشرين.. كيف؟ كيف أتغيب تلك الفترة؟ هؤلاء الملاعين كيف يفعلون بي هذا؟
ذهبت إلى عملي في حالة هلع، وأنا أسأل كل شخص أقابله عن التاريخ، حتى وصلت إلى العمل كالذي أصابه مس، أخذت أستفسر.. وأناقش..وأبرر..
الحقيقة، التي لا جدال فيها، أنني تغيبت عن العمل لمدة أسبوع كامل.

* * *

أسبوع كامل أرقد في فراشي.. قال المدير آسفا إنه يبدو أنني أعاني مرضا ما، ويجب عرضي على طبيب الشركة.. استنكرت، وارتفع صوتي بشكل لاحظته على وجوه السادة العمال، قبل أن يحدث المزيد أخذني المدير بعيدا وأعطاني إجازة، لأستعيد نشاطي، بعد كل ما حدث يعطيني إجازة؟
خرجت من الشركة مذهولا، غير مصدق، وكأنهم حولي يرسمون لوحة كاذبة لخداعي، تدبير من أحدهم ليطيح بي خارج العمل، شخص دنيء، ذهبت هائما على وجهي إلى أكثر مكان في العالم يمقته قلبي، إلى بيتي، الليل أسدل ستائره، أنظر إلى السماء من نافذتي الصغيرة، النجوم التمعت، وجهي الشاحب أكاد أراه في الظلام، نعم «النور قطع»، لم أذهب لإحضار شمعة صغيرة، لن تُحدث فارقا، ولن تنير عقلي، أنا لا أفكر في شيء، فقط أدرس الوضع، والأحداث.. بكل التفاصيل، قبل أن أنام في تلك الليلة، شعرت براحة عجيبة، الفراش ممتع ووثير، والغريب أنه نظيف، أنا لا أعتني به مطلقا.
الباب يطرق..
لن أجيب..
الطرقات تزداد..
أبدا.. لن أجيب..
الباب يكاد يتهشم..

حسنا فليحطمه إذًا.. الطرقات هدأت، وقفت كالمخمور في الظلام، حاولت التقدم نحو الباب، ارتطمت بالأريكة، الألم كان كبيرا..

لم أصدر صوتا..

أتحسس أرجاء الباب، حتى أمسكت بـ«الكالون»، وفتحت الباب.. ماذا أيضا؟ إنه شيء آخر، أكاد أرى الضوء حولها، جمالها فتان، عيناها واسعتان بلون أزرق كسماء الصباح الصافية، ووجها الأبيض ذو شكل دائري أنيق، كانت تنظر إليَّ ودموعها تترقرق، أكاد أقسم إنني لم أرَ حزنا في حياتي مثلما رأيته في وجه تلك الفتاة، التي لم تنطق، كانت ترتدي رداء رثا، متهالكا، لا يتناسب مطلقا مع جمالها وشعرها الحريري المنسدل بجرأة على كتفيها، وقبل أن أنطق قالت بصوت خافت:

- هل يمكن أن أدخل؟

لم أعطها جوابا وأنا أتزحزح من مكاني كالمسحور، وأسمح لها بالدخول، وتحركت الفتاة بهدوء ورقة..

وها قد جاء «النور»..

الفتاة جلست على طرف فراشي ونظرت إليَّ وقالت بنبرة حانية:

- أنت الساكن الجديد؟

أخرجتُ الكلمات من حلقي بصعوبة:

- نعم.

أشاحت بوجهها وقالت متحاشية النظر إلى وجهي:

- يا ليتك لم تأتِ إلى هنا.

ارتجفت الكلمات بحلقي وأنا أقول:

- لماذا؟

وقفت الفتاة بفتنة ورقة وقالت بحزن:

- لأنك لا تستحق هذا.

وقبل أن أنطق ذهبت الفتاة إلى باب حجرتي، وقالت:

- أنت لا تستحق هذا كله.
ورحلت..
أما أنا فما زلت أتحلى بالغباء..
لا أعرف ماذا أفعل..
ما الذي يحدث؟
ماذا تقصد تلك الفتاة؟
من أنا؟!
أمدد جسدي على ذلك الفراش وأذهب في عالم الأحلام الطويل..
الطويل جدا.

* * *

شاهدت تلك القطة، كانت تقف على حافة سور، كادت تقفز حتى أمسكتها، واحتضنتها بحنان، النحيلة وقفت أمامي، تقول: أعطِني القطة. احتضنتها أكثر وأكثر، تحولت عيناها إلى عيني أفعى مشقوقتين ورددت: أعطني القطة.
لم أتمالك نفسي وهرعت راكضا..
أركض..وأركض..
القطة في أحضاني، ولن أتركها..
ولم أجد الطريق أمامي.. أنا أسقط..
أسقط والقطة في أحضاني، حان وقت الارتطام.. و...
قفزت من فراشي غارقا بماء العرق، ألهث..
ذهبت مسرعا نحو هاتفي النقال لأرى التاريخ، التاريخ على ما يرام، نمت كالعادة ثماني ساعات فقط..
حلقي جاف، ذهبت أرتشف من الصنبور الكثير من الماء، يا له من حلم..
الآن أنا في إجازة..
يجب أن أعرف من تلك السيدة صاحبة القطة..

وماذا يحدث من حولي.
هبطت الدرج مسرعا كالذي يهرب من شياطين الجحيم..
نظرت إلى ذلك الشارع الطويل، هناك محل بالجوار، ذهبت مرتبكا، وجدت رجلا يبيع الجرائد، وقفت أتطلع إلى العناوين، قبل أن أنزع فتيل الصمت من فمي وأقول لذلك الرجل:
- أعطني جريدة «...».
أعطاني الجريدة، وقبل أن أعطيه المال قلت:
- أنا ساكن جديد في ذلك البيت، هل تعرف سيدة نحيلة، تأتي حاملة قطة و...
قاطعني الرجل بحذر:
- هل تسكن في تلك الحجرة؟
قلت بحذر أيضا:
- نعم، وما بها؟
فقال الرجل:
- ألم يخبرك أحد بقصة تلك الحجرة؟
شعرت بفضول كاد يلتهم كياني وأنا أقول:
- لم يخبرني أحد، ما بها؟
تنهد الرجل وجلس على مقعد بجوار الجرائد المتراصة وقال:
- اسمع يا ولدي، الذي أعرفه أن تلك الحجرة مسكونة، اللهم احفظنا..
بها جن.. وهناك من جاء قبلك، وحدثت معه أشياء غريبة، ورحل، وجاء غيره، وغيره.
اقترب الرجل بوجهه وقال بصوت خافت:
- هل حدث معك شيء ما؟
ارتبكت أفكاري، الحديث مع ذلك الرجل يجعلك تفرغ ما في جعبتك، شعور بالأمان والأخوة ينتاب الفرد من أبناء وطني عند الحديث والفضفضة.. «هي

دي مصر».

قلت بأسى:

- نعم للأسف.

لا أجد مبررا لابتسامة الرجل الذي قال:

- كنت أعلم، كنت أعلم أنهم على حق.

فقال الرجل بفضول:

- تعالَ، اجلس يا ولدي.

ودخل المحل وأحضر كرسيا صغيرا، وجلست، أخذت أسرد حكايات ألف ليلة لذلك الرجل.. وما إن فرغت من الحديث، حتى وجدت معالم الغباء مرتسمة على وجهه وفغر فاه وقال:

- هل نمت أسبوعا كاملا؟

أومأت برأسي إيجابا، وصمت الرجل قليلا، وقال:

- لقد حدث مع غيرك ما هو أسوأ من ذلك.

وأخذ الرجل يحك يده بذقنه وقال:

- وتلك السيدة تسكن في ذلك البيت المجاور لبيتك، تجلس وحيدة، كل من شاهد حجرتها يقول إنها تعيش في مزرعة قطط، القطط هي حياتها.

قلت للرجل:

- لماذا إذًا تأتي إلى حجرتي؟

فقال الرجل:

- بسبب قطتها.. محتمل أن تكون قد هربت منها وجاءت إلى حجرتك فأسرعت تأتي بها.

فقلت بصوت خافت:

- القطة دخلت إلى حجرتي والنافذة والباب مغلقان تماما، كيف دخلت إذًا؟ ولماذا حجرتي؟

فقال الرجل واستجاب لصوتي الخافت، وقال بصوت خافت:

- وما أدراك أنها قطة؟

فقلت:

- إنها قطة.. أنا أعرف.

فقال الرجل بصوت أكثر خفوتا على الرغم من عدم وجود بشري بالمكان سوانا:

- إنهم يأتون دائما على هيئة قطط.

اقشعرت أوصالي وأنا أقول:

- من هم؟

فقال الرجل وهو يتلفت حوله في ريبة واقترب بوجهه أكثر:

- الجن.

فقلت للرجل بتوتر:

- وما أدراك؟

فقال الرجل:

- تلك الفتاة التي جاءت إليك واحدة منهم.

وهنا أنهيت حديثي مع الرجل شاكرا إياه على النصح..

وعلى إرشادي..

وعلى إيقاعي في دوامة أكثر رعبا مما كنت أعتقد.

* * *

حدثني ذات مرة رجل قعيد أنه كان «ملبوس» في يوم ما..
كلمة «ملبوس» تعني أن الجن قد سكن جسد ذلك الرجل وجعله على ذلك الحال.. وامرأة تزوجها جني من العالم السفلي، ومن يقترب منها يكون قد اقترب من فوهة بركان وسوف يأخذ جزاءه..
وغيرها..وغيرها..
حكايات كثيرة جالت في خاطري..
الحديث عن الجن يجعل الأبدان تقشعر..
ويترك في الجسد رجفة سوف تظل تنتشر في جسدك لطالما تذكر تلك الكلمة..
«الجن».
الآن.. وبعد أن رويت الجزء الأول من القصة..
تلك كانت البداية..
بداية شخص فقد عدة حواس..
ذهبت إلى هناك..
إلى ذلك الرجل الذي يفتح «غطاء الحلة»، ويخرج ثعبانا أملسَ من تحت قدميك.. لقد أخبرني أنني أُصبت..
نعم أنا «ملبوس».

* * *

جلست أنا وعم توفيق صاحب محل الجرائد، في انتظار دوري..
الرجل شهم «زيادة عن اللزوم»، صمم أن يأتي معي، لأنه يعرف تلك الأشكال! الدجالين بالطبع..
كنا جالسين في حجرة رطبة، انتشرت بها مقاعد صغيرة، الرجل بالداخل معه امرأة.. بالطبع إنها مريضة ليس إلا..
سمعنا صراخ الأنثى.. والرجل يتعالى صوته، والأنثى تصرخ..
وتصرخ..

اختفى صوتها.. سمعنا الرجل بالداخل يقول: «اطلع منها.. اطلع»، عم توفيق ارتعد.. نظرت إليه وقلت:

- ما بك؟

تردد قليلا ناظرا إلى سقف الحجرة وقال بفم مرتعد:

- أنا لم أحضر من قبل جلسة إخراج الجن.

قلت له رابتا على كتفه:

- لا تقلق، إنهم بالداخل، لن يصيبنا مكروه.

قال الرجل وهو يمسك يديه بعصبية:

- حسنا.

وعدنا ننصت إلى الرجل الذي أخذ يضرب الأنثى.. الصراخ اختفى.. نسمع صوت العصا تضرب جسد المسكينة، ولم نسمع رد الفعل الطبيعي للألم..

وانقلب توترنا إلى الرعب الحقيقي..

سمعنا صوتا كصوت ألف رجل يقول: «لن أخرج».

انتفض عم توفيق وأشار إلى الحجرة وقال برعب:

- هل سمعت؟ هل سمعت الصوت؟ إنه جني.. جني متوحش.

وأرهفنا سمعنا، لقد تعالى صوت الضرب والركلات.. سوف تموت المسكينة..

صوت طرقات شيء ينكسر.. خبطات على باب الحجرة.. سوف يتحطم الباب..

عم توفيق وقف وقال بصوت عالٍ:

- كفى يا رجل.. كفى.

انكسر باب الحجرة.. أطلت المرأة بعينين وحشيتين، كمصاصة دماء، والرجل يلف حول عنقها حبلا سميكا..

الفتاة تصرخ..

تُخرج صوت الوحش من فمها..

الرجل يجرها مرة أخرى إلى الداخل، الغريب أنني لم أتحرك قيد أنملة من مكاني.. أما عم توفيق..

عم توفيق..
فقد هرب الرجل.. فر وتركني..
الرجل يجر الفتاة إلى الداخل.. أغلق الباب المكسور.. نظرت في شرود، وكأن شيئا لم يحدث.. أنتظر دوري.. لا أعرف لماذا أبدو هكذا.. هل أنا متماسك إلى هذا الحد؟
صوت الرجل يهدأ..
صوت الرجل يقول: هيا اذهبي.. لقد تحررتِ..
رأيت الفتاة تخرج من الحجرة وتسير بهدوء، وجهها تحول إلى اللون الأحمر، أثر كدمات وركلات، جفون متورمة..
وكأن شيئا لم يحدث لها..
الرجل يقول:
- «اللي بعدها يدخل».
وذهبت إلى الرجل وكدت أجلس على الكرسي المحطم.. يبدو أنه حطَّمه على جسدها.
أسرع الرجل يقول:
- لا تجلس على ذلك.. خذ هذا أفضل.
وأعطاني كرسيا صغيرا.. نظر إليَّ الرجل وقال:
- ها.. قل ما لديك.
ومرة أخرى أشرح الأحداث.. القطة والمرأة، أسبوع في الفراش، فتاة تدخل إلى حجرتي، وأيضا ذلك الحلم.
نظر إليَّ الرجل ذو اللحية الطويلة البيضاء والعينين اللتين تختفيان داخل جسد متهالك من أثر الزمن.. وقال وهو يشير إلى جمجمتي:
- هل تلك كدمة؟
قلت بدهشة:
- أين؟

أشار مجددا إلى رأسي وقال بجدية:
- التي في رأسك، هل تلك إصابة؟
تحسست جبيني وهناك خدش كبير، نظرت إلى يدي التي التقطت بضع دماء.. ونظرت إليه بدهشة بلهاء وقلت:
- لا أعلم من أين أتى ذلك الخدش.. أنا لم أَصَب مطلقا.
أعطاني قطعة من «منديل ورق» وقال:
- خذ.. امسح جبينك.
أخذت أجفف الدماء، والرجل ينظر إليَّ متفحصا، ووقف منتصبا، اقترب مني بهدوء، وقال وكأنه يحدث نفسه:
- جميع الأحداث التي حدثت لك دليل قاطع ولا يقبل الشك.. إنك.. مممممم...
قلت بلهفة:
- ما بي؟ هل...
قال بصرامة:
- أنت أصبت بالمس يا ولدي.. وما زلت.
وأشار إلى الجرح وقال:
- والذي أعد لك ذلك قصد إيذاءك، ويجعلك ترى أشياء، بل وتتعايش مع أشياء لم تحدث، وذلك الجرح هو أثر ذلك المخلوق، إنه الآن غاضب لأنك جئت إلى الشخص الذي يغضبهم.
قلت وأنا أحاول السيطرة على مشاعري:
- وكيف لا أشعر بالذي يعبث في عقلي؟
قال بهدوء وهو يمد يده ويأخذ أحد الكراسي الصغيرة ويجلس مواجها وجهي تماما:
- هناك أنواع تتحكم في العضلات، وأخرى بالعظام، وأخرى بالعقل الرمادي الهش، وأخرى تسري في الدماء، وأخرى وأخرى.. الخلاصة أن ذلك الذي يعبث

بعقلك هو النوع المتخصص بالعقول، والذي أعد لك ذلك إنه لشيطان كافر، والآن تمدد على ذلك الفراش.

تخبطت قدماي وأنا أذهب إلى ذلك الفراش، تصاعدت نبضات قلبي بطريقة هستيرية، جلست على الفراش، شعور بداخلي بدأ يتسلل إليَّ بكره ذلك الرجل ودون داعٍ.

اقترب الرجل وقال:

- في البداية، وعندما أقرأ تلك التلاوات يجب أن تعرف أن حالتك صعبة وأن تلك العملية التي سأقوم بها مشابهة للعمليات الجراحية الدقيقة، يمكن أن تنجو وتنجح العملية، ويمكن أن...

قاطعته بعصبية وقلت:

- ولو رفضت أن أخضع، ماذا سيحدث لي؟

تنهد الرجل وقال بحنان أبوي:

- للأسف يا ولدي، سوف تظل على تلك الحالة، بل وستزداد، وإن لم تمُت من تلك الجلسة، ستموت وأنت تفقد عدة حواس، وربما تصاب بشلل عقلي لا يوجد له علاج.

نظرت إليه، ولا أعرف لماذا تذكرت أبي، رحمه الله، كان دائما يحاول أن يخفي جوعنا بكلام معسول مهضوم، يجعلنا نشعر بالرضا والحب والتفاهم. فقلت له مستسلما وكدت أقول له كلمتي مع أبي «اللي تشوفه يابا».

قلت:

- هيا ابدأ.

وبدأ يقرأ آيات من القرآن الكريم، ارتاح لها قلبي، وصدعت جمجمتي، وشعرت وكأنها تثور، وتكاد تذوب خلايا مخي، فقلت بألم:

- كفى.. كفى..

والرجل مستمر في قراءة القرآن، مستمر..

مستمر..

انقبضت عضلاتي، أمسكت رأسي.. «الصداع» انقلب إلى دقات مطارق..
وبعدها..
«أنت لا تستحق هذا كله»!
قالتها الفتاة..
تلك الفتاة التي دخلت حجرتي، كانت تسير بهدوء متقدمة نحوي.. فقلت:
- من أنتِ؟
نظرت بكل حنان قائلة:
- أنا أحاول مساعدتك.
قلت:
- ومن الذي فعل بي هذا؟
هناك دمعة انسابت عبر بشرتها البيضاء، وترقرقت عيناها المتسعتان ذواتا اللون «العسلي»، وقالت:
- إنها هي.
وأشارت إلى نقطة خلف ضباب كثيف، أخذ يظهر..
ويظهر..
ظهرت المرأة النحيلة تحمل قطة سوداء تداعبها في شراسة.. ونظرت إليَّ الفتاة الرقيقة وقالت:
- هي السبب في ذلك كله، إنها تعيش في عالمهم، وهم يعيشون في عالمها.
قلت:
- ومن هم؟
قالت وهي تمسح دموعها برقة:
- إنهم قوم تعايشوا مع نسلها منذ قرون، وهي تكمل المسيرة، حتى يحتلوا عالمنا.
فقلت لها بدهشة:
- احتلال!

أومأت برأسها برقة كادت تثير مياه المحيط من أنوثتها، وأكملت:
- أنت.. أنت من يجب أن يوقفها.. وأنت الوحيد الذي أثار جنونها وجعلها تسلط نحوك شرورها.
فقلت متعجبا:
- أنا لن أستطيع، بل أنا لا أتحمل تلك الـ...
قاطعتني وهي تمسك يديَّ بحنان وقالت وهي تنظر إليَّ بعينين دامعتين مثيرتين للبكاء:
- أنت أملنا الوحيد.. الجميع يبتعد عنها، أنت الوحيد القادر على تحريري، أرجوك.
لأول مرة أواجه فتاة بتلك الجمال، وحنان الكون يجتمع في يديها الملساوين..
فقلت لها بحنان:
- أعدك.. سأحاول.
تركت يدي، ونظرت إليَّ وارتسم شبح ابتسامة على وجهها الأبيض.. ثم..
-حمدا لله.. لقد نجوت يا ولدي.
قالها ذلك الشيخ، وأنا ما زلت جالسا على فراشي، وتابع الرجل وهو يتنهد بارتياح:
- لقد كدت تحطم يدي، ولكن لا بأس، المهم أنك تحررت يا ولدي.
نظرت إلى يد الرجل المتورمة وقلت:
- أنا فعلت ذلك؟
أومأ الرجل وهو يبتسم:
- بل أكثر من ذلك، لو كان هنا جهاز فيديو لجعلتك تشاهد من كان برأسك ويتحدث بلسانك.
بعد الكثير من التعجب والتساؤلات، ذهبت من ذلك المكان، وجسدي به بعض الكدمات.. سرت إلى هناك.. لقد عزمت على شيء واحد.. لا يوجد مبرر واحد لفعل ذلك..

لقد قررت إنهاء تلك الشيطانة، حتى لو فقدت كل شيء.. حتى لو فقدت حياتي.

* * *

كانت واقفة هناك، نعم بجوار منزلي، ممسكة بقطة سوداء اللون تمسح على جسدها في نعومة غير مبالية بخطواتي الواثقة وهي تقترب منها.. وقفت أمامها تماما.. نظرت إلى القطة التي نظرت إليَّ نظرة بريئة وهي تتلق ذلك الصوت وهو أشبه بصوت قبيلة من أسراب حمام الزاجل.. نظرت إليَّ المرأة في سخرية وقالت في تحدٍّ:

- هل تحررت؟ أراك بصحة جيدة.

فقلت لها بصرامة:

- نعم.. تحررت.

فقالت وهي تملس على القطة بنعومة وحنان غير ملائمين لوجهها المجعد:

- والآن.. ماذا تريد؟ الانتقام؟

فقلت لها بالصرامة نفسها:

- وهل هناك شيء غيره؟

وضعت القطة أرضا بالحنان نفسه، ووقفت واضعة يديها أمام صدرها في تحدٍّ وقال:

- أنا أمامك.. ماذا ستفعل؟

تحسست السكين الموضوعة خلف ظهري، وأخرجت السكين ووجهتها إلى وجهها وقلت:

- هذه السكين البسيطة سوف تخترق قلبك أيتها الشمطاء الملعونة.

أطلقت ضحكة عالية مجلجلة.. وقالت وهي تشير إلى السكين:

- لن يفيدك موتي أيها الغبي.. الأفضل لك أن تذهب بعيدا وتبتعد عن ذلك

المكان وتعود من حيث أتيت.
استشطتُ غضبا من سخريتها، وقبل أن أخطو خطوة واحدة تعثرت من دون مبرر واضح ووقعت أرضا ناظرا إلى قدميها اللتين تحولتا إلى أقدام عجيبة، أقدام ليست بشرية.. إنها أقدام ماعـ...
إنها تجري مسرعة نحوي.. إنها تركلني في وجهي بأقدامها البشعة.. الدماء تتطاير وترتمي على الأرض.. أمسكت السكين وقبل أن تغرزها في جسدي وقفت مترنحا محاولا الهرب.. إنها خلفي.. أشعر بقسوة السكين تغرز بجانبي الأيمن..
إنها ليست من البشر.. كيف السبيل للهرب من تلك الشيطانة؟ نظرت إليها ووجدت ملامحها تزداد بشاعة وهي تستعد لغرز السكين بقلبي.. أمسكت يدها بآخر قطرات القوة التي تبقت في إرادتي الرجولية، إن قبضتها القوية لا تزال تقترب من قلبي، حاولت إبعادها بلا فائدة، وقعت على الأرض وهي فوقي بسكينها.. لا فائدة، الموت آتٍ..
وفجأة خارت قواها دفعة واحدة وارتمت على جسدي كجثة هامدة.. سمعت صوتا مألوفا يقول:
-حمدا لله.. أنت بخير يا بني؟
أزاح الرجل جسدها، اتسعت عيناه وهو يقول بارتياع:
- إنها أصابتك.. يا إلهي.
حاولت إخراج كلمات من فمي.. قبل أن أغرق في غيبوبة طويلة..

* * *

«حمدا لله على سلامتك يا رجل»..
قالها عم توفيق وهو يربت على كتفي بحنان أبوي..
أنا راقد في فراش وثير في أحد المستشفيات الحكومية.. بجانبي كان هناك عدد من الموظفين بشركتي.. لقد علموا ما حدث لي.. يبدو لي أن عم توفيق رجل يعشق القصص و«الرغي».. فلم يكن هناك أحد في ذلك المستشفى لم يعلم ماذا حدث لي.. ومعركتي مع الشيطانة.. أما رجال الشرطة فقد اعتصروا عقلي أسئلة لا حصر لها.. بالطبع عم توفيق أنقذني وضرب الشيطانة على رأسها بآلة حادة لم تقتلها!
بل جعلتها تأخذ غرفة بجانب غرفتي بالمستشفى.. والغريب أنها قالت إنها لا تعرفني وأنا المعتدي.. ولحسن الحظ.. لحسن حظي التعس.. كان الجيران يشاهدون الواقعة.. والشهود أنقذوني..
و..
لم تمُت.. لا تزال حية..
لا تزال تمارس طقوسها.. إنها تحضر الجان.. وتسلط القطط.. وتجهز الأرواح..
لم أنفذ وعدي لتلك الفتاة..
أنا خذلتها.. بل خذلت الجميع..
وأنا الآن أدفع الثمن..
أنا جالس في غرفتي..
نعم هي ذاتها تطاردني أشياء من آن لآخر..
أنتظر ها هنا قطتها السوداء تخترق باب الغرفة لتراقبني، وتذهب..
أنا لا أستطيع أن أتحرك من غرفتي..
ألا تعلمون لماذا بعد ذلك كله؟!
أنا سجين..
إنهم هناك يراقبونني..
بعيونهم اللامعة..

أستطيع الشعور بها الآن، واقفة بقدميها البشعتين خلف ظهري.. تستعد لطعني من جديد..
ولكن للمرة الأخيرة..
أما باقي الغرفة فانتشرت القطط في كل قطعة منها تراقب سيدتهم تضع واحدا على لائحة الضحايا..
وآخر سجين للحجرة.

* * *

وما إن فرغ من روايته حتى وجدته يشرد، ونظر خلفه في سرعة، وكأن شيئا خلفه، وانتبه إليَّ وبكل حواسه نظر إليَّ متفحصا وقال بحذر:
- هل تصدقني؟
لا محالة أنه مجنون، لم أعرف جوابا شافيا؛ فقصته غريبة، بعض منها يمكن حدوثه، وبما أن نشأتي كانت من جذور الأراضي الخضراء بالصعيد، وحكايات الجن والنداهة، والمعتقدات عن القطط السوداء، كانت حكايات منتشرة لإرهاب المرء.. وقبل أن أنطق جاء المنقذ، إنه الطبيب، وقبل أن ينطق نظر إليَّ المجنون قائلا بهلع:
- انظر خلفك.
نظرت خلفي، أيها الرعديد، إنه قطي الأسود مشمش، فقلت بدهشة:
- إنه مشمش صديقي، لقد كان هنا قبل حتى أن آتي أنا.
فقاطعني في رعب وقال:
- إنها تراقبني أيها الغبي، تراقبني.. اركل ذلك القط بعيدا، أبعده قبل أن تشتعل تلك العيادة.
وقبل تصاعد الأحداث، وجدت الطبيب المنقذ يربت على كتفه.. ودخلا إلى الغرفة..

ومرت ساعات لم يأتِ سوى ذلك المجنون، وبعد أن ذهب هرعت مسرعا إلى الطبيب وقبل أن أبدأ الحديث قال هو:

- هل قال لك شيئا؟

فقلت بإشفاق:

- كل شيء.

فقال الطبيب بهدوء، وبدأ معاملتي كالمريض وقال:

- حالته صعبة للغاية.. لا تستمع له مرة أخرى.. إنه يرى أوهاما.. أهناك أحد آخر؟

فقلت:

- لا.. لا أحد سوى ذلك الشخص النحس.

ضحك الرجل لذلك الوصف وقال ممسكا معطفه:

- حسنا.. سوف أذهب الآن.. أشعر بإرهاق شديد.. أغلق العيادة وارحل.. يبدو عليك الإرهاق مثلي.

شعرت وكأنه على حق، مجرد جلوسي مع ذلك المجنون أشعرني بالتعب، فقلت:

- حسنا.. لكن هل آتي غدا مبكرا كعادتي؟

فقال الطبيب بدهشة:

- بالطبع.. أهناك شيء ما؟

فقلت بتوتر:

- أخشى أن يأتيني ذلك الشخص مرة أخرى؛ فهو لا يبث سوى الرهبة في القلب.

فقال مبتسما:

- لا تقلق، سوف أضعه في مشفاي الخاص.

وذهب الطبيب، ونازعني حب الاستطلاع في رؤية ملف المجنون إبراهيم.. وأمسكت بتقرير أعده الطبيب، كان ملخصه كالآتي:

ذلك ما قاله المريض إبراهيم على شحاتة..
الحالة المرضية عن واقع الخيال بالنسبة له..
هناك عدة أمراض بشرية لا يوجد لها تفسير.. التفسير الوحيد الذي نلجأ إليه أنه مريض بالجنون.. والجنون له عدة تفسيرات..
منها: جنون العقل الوحيد.. الذي لا يصدقه أحد سوى جدران غرفة سوداء..
جنون إرهاب الطفل وهو يحتسي الحليب..
إرهاب الصبي من عدو خفي يختفي خلف الجدران المظلمة.. كان إرهابا بقصد تجنب الأخطاء..
كان بقصد تثبيت نبتة الشجاعة داخل أروقة القلب..
تفسير الجنون: إنه يحدث منذ الصغر، يحدث من الآباء غلاظ القلوب.. ومن أمهات لا يرِدن سوى إراحة عقولهن لجعل الطفل يطيع الأوامر..
الحجرة خالية، ومظلمة.. إنهم هناك يراقبونك لو لم تنم..
ابتعد عن ذلك الجهاز.. فبداخله يختفي «العفريت»..
لو لم تُطِع أوامري سوف يأتي «العوّ».. وغيرها وغيرها..
إنها تربية..
في بعض الأحيان تجدي.. وفي أحيان أخرى لا تجدي، بل وينمو الطفل رجلا بلا قلب، وأحيانا يصبح ضعيف القلب.. رعديدا.. وآخر خياليا.
وذلك ما حدث..
إنه بالفعل ساكن تلك الغرفة..
إنه مقيم فيها..
الظلام يتحول لصراخ.. المرأة مسكينة تملك قطة.. إنها سيدة تمارس طقوسا مع الجن.. وجارته الفتاة تطالبه بخفض صوته، تتحول لفتاة من عالم آخر..
الدجال هو طبيب..
عم توفيق حقيقة بكل التفاصيل..
إلا أنه هرب عندما علم أنه مجنون وعند الطبيب وليس أحد الدجالين..

يحاول قتل جارته المسالمة بعد إقناعه التام لعم توفيق أنها شيطانة فيحاول إنقاذه..

الحقائق توضح أنه مصاب بمرض تفجَّر في عقله إثر طفولة مخيفة.. كان وحيدا منعزلا عن الآخرين.. بل كان يخشى غروب الشمس حتى لا يأتي أحدهم ويختطفه.. استمع إلى روايات النداهة والجن والعفاريت.. ولم ينتبه أحد لخوف الطفل.. حتى نبغ رجلا..

مرض يعانيه الكثيرون..

وسوف نبدأ معه العلاج بوضعه في المشفى الخاص، ونجعله يحتك بحالات أخرى؛ فهو يشعر بالوحدة..

كل الوحدة.

تركت التقرير كما كان، وأغلقت الحجرة جيدا، وذهبت إلى مكتبي الصغير لأغلق الأدراج، و...

إنه مشمش.. لماذا يرمقني بتلك الشراسة؟

بل ولماذا تغير لونه إلى اللون الأسود؟

مشمش.. ما بك؟

وفجأة.. قفز من النافذة.. هرب مشمش.. ولأول مرة..

غريب.

* * *

في اليوم التالي، كلفني الطبيب بمهمة أخرى، إحضار رجل وتوصيله إلى المشفى الخاص، وعندما وصلت إلى فيلته الكبيرة وجدته أعد حقائبه، كان في انتظاري، مجنون آخر هادئ، ولكن لماذا ألاحظ أنه يرتعد؟ لم أبالِ وأنا أدخله غرفته الصغيرة، وضع الطبيب له كل الأشياء المسلية من مجلدات وكتب وتلفاز، مجانين تلك الأيام مرفهون إلى أقصى حد، أما نحن العقلاء، فنصيبنا المشاهدة وليس أكثر، لماذا أشعر بفضول لأعرف سبب مرض الرجل، هل الجن والعفاريت، أم... لا بد أن أعرف، أعلم أن الطبيب كان يريد قتلي لمعرفة أسرار المرضى، ولأنه سر من أسرار المهنة، ولكن...

يجب أن أعلم.. لم أتعلم.. ولن أتعلم.. تلك قصة جديدة.

«تمت»

* * *

قسم المحادثة

منال: ما لقيتش بطل للرواية غير «تمرجي»؟!
عيسوي: أنا شايفها مثيرة.
محمد يوسف: في الصعيد عندنا أكتر من الشغل ده.. هناك الدجل «للركب».
إيمان مسعود: قصة سلسة تناقش قضية مهمة.. وهي اتهام الجن بأي مرض مبهم غير معلوم.. من وجهة نظري القصة دي اتحكت ألف مرة بألف طريقة.. بس بطريقة سرد مختلفة.. جن عفاريت والكلام ده كله.
عزت: كلام فاضي.. «أي هبل في الجبل».. لا طبعا مش معاكي.
إيمان مسعود: ده رأيي الشخصي.
أدمن: أولا «منال».. البطل ممكن يكون أي شيء.. حتى لو كان عيل صغير.. طالما كانت الأحداث تسير وفق نظام الإثارة والتشويق.. احترمي أي مهنة يا منال.. وما تتعاليش.
منال: انت اللي بتتكلم عن التعالي؟ إيش حال ما أنت كل دقيقتين بتشيل كام واحد من المنتدى.. تفتكر ده إيه؟ تواضع مثلا؟!
أدمن: بالنسبة لـ«إيمان» رأيك يُحترم.. بتكرار مواضيع والحكايات دي بخصوص العفاريت.. ولكن التطور هنا بأداء التمرجي الساذج.
منال: أعتبر ده تجاهل مثلا؟ لا بكده أدوَّر على حاجة مرعبة في مكان تاني.. سلام يا «...».. ومن غير سلام كمان.
إيمان مسعود: فيه تكملة للقصة؟
أدمن: أتمنى بس من «مصطفى خلف» يبعت بقية الأحداث.

عيسوي: مصطفى خلف فين صحيح؟
إيمان مسعود: هو ممكن تنشر روايات على لسان بنت مثلا؟
أدمن: لو كانت مثيرة ومشوقة والأهم مرعبة.. ما عنديش أي مانع.
إيمان مسعود: بجد؟
رفعت: هو صحيح سارة فين؟

* * *

شهور تمضي.. والجريدة يزداد حجمها ثقلاً وثقة من القطاع الحماسي (الشباب).. فقط أرسل لي رواية غريبة الشكل.. لا يصدقها أحد.
وبعدها ارقد في سلام.

قسم فضفضة الأدمن

من اللحظات الأخيرة شككت لبرهة أن «سارة» اختفت..وأن «الدموي» هو الفاعل..ولكن.. لماذا لا تكون تلك لعبة؟
ولماذا لا يكون أحدهم محرك الأشياء؟ ولماذا لا يكون أنا الفاعل؟
تعاهدت التلاعب بعقل..
الخيال جامح بلا شك.. أدخل المتابعين الخمسة في شك..
ما بين الحقيقة والواقع مسافات بعيدة..
تقع بينهم جملة واحدة: «ولِمَ لا؟»..
حسنا..
لن أشغل بالي بلعب طفولي لا طائل له..
هبطت العواصف تعليقات من كل صوب عن قصة «عصر الظلام».
هناك من يقول: فيلم هزلي مكرر..
حدثت نفسي بحذفهم تماما من تلك الجريدة..
ولكن قليلا من الديمقراطية لا بأس..
وأحبائي بالطبع يقولون رائعة..
وهناك من يقول: من كاتب تلك القصة؟
وحقيقة لا يوجد له اسم..ولا رقم هاتف جوال..
فقط أرسل لي تحت اسم «صفر»..
ذلك الرجل يروق لي!

لذا سوف أدعهم يملأون صندوق الوارد برسائل قصصية..
فذلك الرجل منحته «واسطة» خاصة..
ولقيت وابلا من الاعتراضات..
مئات القصص أتتني في لحظات معدودة..
منهم من يقول:
قصتي الأفضل..
موضوعي أكثر إثارة..
ولكن للديكتاتورية عنوانا..
وأنا من أقول كلمتي بداخل تلك الجريدة..
لا تعرض شخصك للإحراج رجاء..

غرفة المحادثة

أدمن: مساء الخير يا شباب.

مصطفى خلف: مساء الخير يا أدمن.. خليها «السلام عليكم» أحسن وفيها ثواب.

ميادة: مرحبا.. موقعك هذا رااائع.

أدمن: مرحبا بكِ يا ميادة.

مصطفى خلف: ميادة.. ماشي شكرا على حسن ردك يا أدمن.. أنا قريت المحادثة اللي فاتت، هي سارة اختفت ليه؟!

أدمن: يظهر ما عجبهاش المنتدى فمشيت.. أو من الواضح إن فيه تمثيلية خايبة.. بس مش معايا.

عيسوي: يا عزيزي كلنا ممثلون.. هههههه.

أدمن: إيه؟

ميادة: قصة النهارده إيه؟ بتخوِّف زي اللي فاتت ولا إيه؟

مصطفى خلف: أكتبلك قصة يا ميادة؟

ميادة: انت عبيط؟

أدمن: بصراحة ما عادش فيه حاجة بتخوف.. بس أنا بميل أكتر لروايات كتاب الموتى لعضو معانا اسمه «صفر».

عيسوي: مش كتاب الموتى ده بتاع فيلم evil did؟

أدمن: آه عجبني الفيلم ده جدا كمان.. بس الجزء التالت كان نوعا ما كوميدي.. حتى البطل «إش» صنع من بطل الفيلم نفسه أسطورة لها رونق عجيب.. وقصص كتاب الموتى اللي بيرسلها برضه العضو «صفر» مختلفة بعض الشيء.. والكلام ده هتشوفه في الأيام اللي جاية.

ميادة: الساعة بقت ٣ الفجر.. فين القصة الجديدة؟

مصطفى خلف: أنا جيت.. وجبت الجزء التاني.. بس لسّه ما نقلتهوش على اللاب توب.

أدمن: ابعتها.

قاتل الأحياء: دمك هيبقى شوربتي الليلة.

مصطفى خلف: تقصد مين؟

ميادة: رواية الليلة إيه؟

أدمن: يا «مصطفى خلف»، عايز القصة مختلفة.. وأديني رديت عليك ما خدتش بالي في الأول من كلامك.

عيسوي: أنا عندي قصة للسفر عبر الكواكب.

أدمن: ابعتها.

عيسوي: ولكنها صراع بداخل صراع.

أدمن: تقصد إيه؟

عيسوي: صراع بين رئيس مجلس إدارة جريدة ومحرر بإحدى الجرائد اليومية.

أدمن: ومين اللي بيحكيها؟

عيسوي: حد تاني خالص.

ميادة: مش فاهمة حاجة!

أدمن: ولا أنا.

عيسوي: أنا بعتهالك يا أدمن.

أدمن: على مسئوليتك ولا «بلوك»؟

عيسوي: هههههه.. بتتكلم زيه.

أدمن: مين؟!

عيسوي: بعد ما تقراها.. هتفهم كل حاجة.

أدمن: أوك.

* * *

قسم الروايات

الرواية الثالثة من الصديق « عيسوي »

«عبر العوالم»

«صاحب فكرة عوالم أخرى.. أولا: يجب أن تعلم.. في كوننا عوالم أخرى كثيرة لم ترَها من قبل.. وسائل الانتقال كثيرة مثل الثقوب السوداء.. الأوتار الكونية.. آلة الزمن.. الانتقال عبر كوكب آخر.. تلك هي أكبر معضلة»..

«الجريدة أصبحت مملة.. لا جديد.. فقط عناوين متكررة.. أخبار قديمة.. جرائم.. حتى إنني لا أندهش من خبر قتل ذلك الأب أولاده والعكس.. مسيرات متعددة.. هتافات.. ملل.. أصبح الجديد فقط هو التاريخ»..

قالها الصحفي الشاب باستهتار وهو يكور بضع وريقات ويضعها في سلة كبيرة.. موجها حديثه إلى زميله المجاور الذي أومأ موافقة لحديث الرجل قائلا:

- معك حق.. تلك الدولة تحتاج إلى ثورة تجديد.

- ما تحتاجه هو ثورة من الخيال يا صديقي.

- ماذا تقصد؟

- عمود جديد بعنوان «عوالم أخرى»، تجارب على لسان صاحبه.. تجارب شخصية.. نريدها صادقة تماما.. هكذا مثلا.

- فكرة قديمة.. طُحنت آلاف المرات في الكثير من الكتب.

- قلتها.. في الكتب.. وليس جريدة متسلسلة.. سوف أطرح ذلك الموضوع على رئيس التحرير.

قال له في استهتار:

- ذلك شأنك.

* * *

- تريد عمودا جديدا.. باسمك؟

لاحظ النبرة الساخرة التي تحدث بها رئيس التحرير.. ولم يبالِ.. بل استمر في حديثه:

- ليس شرطا.. فقط نضع اسم صاحب القصة.

- وما الفائدة؟

- الإثارة يا سيدي.. سينتظر الكثير من القراء العدد المقبل.. و...

- الجميع ينتظر «الجريدة الماس».

قالها بنرجسية مفرطة.. حتى إنه في لحظة قرر نسيان ذلك الأمر..

فقد رمى آخر طوق للفكرة قائلا:

- سيدي.. عصرنا ممتلئ بالجرائد.. الجو نفسه ينتشر بداخله الملل.. وما الذي يفرق بيننا وبين الجرائد الأخرى سوى نقل الأحداث وافتعال أحداث لزيادة المبيعات؟

انتظر أن يصفعه أو يحشر يديه في أمعائه.. ولم يحدث.

فقط تطلع وقال بهدوء:

- الاندفاع.. أهم عيوبك.. احذر.

ابتلع لسانه داخل حلقه في توتر.. منتظرا القرار الأخير.

- أبلغهم بتخصيص عمود جديد بعنوان «عوالم أخرى» هذا.. ولنرَ.

- أعدك يا سيدي بنجاح ذلك العمود.

* * *

بعد ثلاثة أيام..

انتشر تنويه داخل الجريدة الذهبية عن عمود جديد.. بعنوان «عوالم أخرى»..

من يمتلك تجربة في عوالم أخرى يرسل القصة عبر العنوان التالي..

الإيميل.. رقم الهاتف...

* * *

- لا شيء جديد.
- ألم أقل لك تجربة فاشلة؟
قالها زميله في استهتار كعادته.
قال زميله باهتمام:
- وما تلك العوالم التي تريد النشر عنها؟
- لا أعلم.
- تمزح؟!
- حقا لا أعلم.. وماذا عن حوادث مثل روزويل؟
ألم يختطف فضائيون «Bett Andreasson».. «بيتي» التي خضعت إلى التنويم المغناطيسي من قِبل المختطِفين كي تنسى ما مرت به.. وأيضا حادثة اختطاف «ترافيس والتون»، إحدى أكثر الحالات المثيرة للجدل إلى وقتنا هذا؟ وماذا عن الذهاب إلى الماضي مثل حادثة الفتاتين اللتين وجدتا نفسيهما فجأة في عصر من العصور الوسطى؟ هذا ما أريده.. هناك الكثير من التجارب الخفية التي لم تفصح عن نفسها بعدُ.. تحتاج لإزالة الغبار عنها لتظهر للجميع على السطح.
- إذًا كل ما تحتاج قصة.. قُم بتأليف واحدة.
- أأنت أحمق؟ أريد قصة على لسان صاحبها.. سوف أنشر الرسالة كما هي.. الجميع يعرف أسلوبي جيدا.
أتى حامل البريد، قائلا:
- مظروف خاص بـ«عوالم أخرى» يا سيدي.
اختطف الجواب في مرح قائلا:
- ألم أقل لك؟
فتح المظروف..
لا تحمل سوى اسم «على سليمان».. المكان: صفر.
- غريب.

هل انفكت العقدة؟
- لا يحمل سوى اسمه فقط.
- هيا اقرأ.. أريد الاستمتاع بقصص الجوكر.. ألا يحمل صورة شخصية؟
- نعم.
- إذًا هيا اقرأ كلي آذان مصغية.
وبدأ في قراءة أوراق المظروف.

* * *

صديقي المحرر.. صاحب فكرة عوالم أخرى..
أولا: يجب أن تعلم.. في كوننا عوالم أخرى كثيرة لم ترَها من قبل..
وسائل الانتقال كثيرة مثل:
الثقوب السوداء..الأوتار الكونية.. آلة الزمن.. الانتقال عبر كوكب آخر..
تلك هي المعضلة المستحيلة.. بوسيلة سهلة للغاية.. لم يطبقها أحد في عالمك..
سوى دولة واحدة.. في عالمي نطبق العلم.. ندرس.. نتحاور.. نناقش.. نحن متشابهون كثيرا؛ ذلك لأننا بشر.. حقا لست أدري هل أنا بعالمك.. أم بعالمي..
لا بُدَّ لي من الرحيل من عالمك في أقرب فرصة..
لن أستطيع البوح بمكاني..
وعلى الرغم من ذلك، سوف أقص التفاصيل التي تجعلك تنشرها متسلسلة كما تريد..
صدق أو لا تصدق.. ذلك شأنك.
مهنتي: «أحد العلماء»..
أبلغ الخامسة والثلاثين قريبا..
الهيئة: بشري حتى النخاع..حتى الآن!
وهبت كياني إلى مدينة علمية بـ«عالمك» الحالي..

قمت باختراع عدة أشياء..
وأخيرا..قمت باختراع الحائط..
الاسم يبدو قديما.. ولكن أنت لا تعلم لماذا هو الحائط..
بل ما وراء ذلك الحائط..
تريد معرفة ذلك السر..عن عوالم أخرى؟

* * *

- من المستقبل.
- shit، خدعة أخرى.. ألم أقل لك لا فائدة؟ فُرمت تلك الأفكار آلاف المرات بروايات عدة يا صديقي.. ماذا يظن صاحب ذلك المظروف.. من مسرح الأطفال؟
تنهد «ممدوح» قائلا:
- لماذا لا تدعنا نقرؤها حتى النهاية؟ بعدها قل ما تشاء.
- لا، أنا لا أستمع إلى قصة صاحبها مختل، وقارئها طفل.
- حسنا.. إذا كنت ترى هذا دعني أقرأها في صمت.
- اقرأ.. اقرأ.. سوف أترك لك المكان بأكمله.

* * *

توقفت لحظات أراقب ذلك المبعوث..
يحمل رسالة إلى رئيس ذلك القسم..
الغرف شفافة.. نرى بعضنا البعض بسهولة..
والكل يعرف..

الأرض تنهار كليا..بدأت بصراعات..طائفية عدة..
أسلحة..تكنولوجيا..ثم دمار..
ولم يظهر الدجال بعد!
وللسخرية.. ذلك ما ينقصنا..
تشققت طبقات الأرض مبتلعة كما هائلا من اللحم البشري.. يوميا!
والأسلحة الكيميائية.. انتشرت كالهواء في الصدور..
ونحن هنا نحمي من تبقى من العرب.. فقط! بداخل تلك المدينة الواسعة..
أوروبا.. غرقت بالكامل..
ولم يتبقَّ منها سوى القليل من القبائل الفاقدة للعقيدة..
وها نحن بانتظار تقرير عن بعض الأحياء الجدد.. الذين لم يصابوا بالعدوى..
انتشلني من مراقبة المبعوث «سلمى مجدي» - عالمة فيزيائية - قائلة:
- ما الجديد؟
- لست أدري.. يبدو أنهم عثروا على أحياء جدد.
- من يحيا على سطح ذلك الكوكب الممتلئ بالتلوث؟ لن تتحمل المدينة أكثر من هؤلاء الأوغاد الذين انتشروا على أرضها.. ويحمل أحدهم شارة القيادة..
ويشجب.. ربما في ثورة أخرى تحمل النهاية للجميع.
وخلعت منظارها الطبي وفركت عينيها كطفل صغير لم يبلغ الشهور الثلاثة..
منتظرة مني تعليقا مناسبا.
وخطر بذهني قول شيء مهم أغير به ما مضى:
- لقد قمت ببحث على الحائط.
انتشلتها من حالة «لا يوجد فائدة» من ذلك العالم.. وهبت قائلة:
- حقا؟ أيمكنها حمل أكثر من شخص؟
- لا.
- يا للخسارة.
لكنها تستطيع حمل اثنين بدلا من شخص واحد.

قالت ساخرة:
- نعم، أنت والرئيس.
- لماذا اليأس؟ هناك دائما أمل.
- لا أمل، سندفن في ذلك الكوكب أحياء.. انظر، الأرض تهتز كل دقيقة.. ماذا ننتظر؟ الموت قريب.
- زميلتي العزيزة.. بعد ظهور مراكب السفر عبر الزمن وتعدد الرحيل عن الزمن.. وبعد علمنا بوجود أراضٍ أخرى تصلح للحياة.. قمت بتعديل الحائط بحيث يلائم جسدنا البشري؛ حيث إنه لن نحتاج لخوذة أو رداء فضاء.. الهجرة عبر «الزمكان» يا زميلتي أصبحت واقعا.. وأنا على وشك الرحيل.. الرحيل عبر أراضٍ أخرى.. عوالم أخرى.
- أنت تحلم.
إذًا لماذا لا نخوض تلك التجربة.. معا؟
وهنا دبت بوادر الأمل التي كنت أنتظرها منذ زمن على ملامحها.. قائلة: حقا؟ أتختارني؟ وماذا عن الرئيس؟
نظرت إلى عينيها مباشرة.. علَّه عينيَّ تقولان ما لم يستطِع لساني قوله.
فقلت:
- نعم أختارك أنتِ.. وليس الرئيس.
ولم أنتظر حديثها.. فأنا أعلم ماذا ستظن وتعتقد..
كم كنت أود قول:
فلم يتبقَّ لي سواك.

* * *

«من»..
- وتتوقع قبولي رحيلك بتلك السهولة؟
نطقها رئيس المدينة العلمية بصرامة.. وفي لهجته الغضب.. وحاجباه كرسمة

السبعة المقلوبة:
- سيدي.. لا يوجد مفر، لا بد من القيام بتلك الرحلة، سوف أنطلق لجلب المساعدة عسى أن يجدي شيء وننقذ من تبقى منا.
نظر إليَّ نظرة متشككة..
ولم يلبث أن أخذه التفكير بعيدا عن رؤية وجهي..
فمرة ينظر إلى لوحة زيتية لشخص ما كان يوما رئيسا لدولتي.. موضوعة على الحائط.. وإلى سقف الحجرة مرة.. وإلى الأخرى.. لوحة تحمل أرقام النظرية النسبية.. التي تحمل أرقاما..

$$\Delta t' = \frac{\Delta t}{\sqrt{1 - v^2/c^2}}$$

حيث..
الزمن بين حدثين طبقا لساعة المشاهد.. Δt
الزمن بين الحدثين نفسيهما اللذين يسجلهما المسافر على صاروخ يتحرك بسرعة v..
السرعة النسبية بين المشاهد وراكب الصاروخ.. v
سرعة الضوء c..تبا لهؤلاء..
جميع الرؤساء..تشعر وكأن بين فكيها أصعب القرارات..
لو قذف به ستتحرر البلاد من الظلم..وسيرقص السجين طربا..
وينعم الأغنياء بود الفقراء..
قطع تسلسل الأفكار قائلا:
- هل قمت بتعديل الحائط؟
ألهب حماسي ذلك الرجل، فقلت في سرعة:
- نعم يا سيدي.. سوف يأخذ فردين فقط لا غير.. ينتقي ثقبا أسود يدرس حالة الكواكب التي تصلح لحياة بشري.. يدون رقم الكوكب.. حتى الآن

مناسب للاختبار.
اهتزت الأرض اهتزازة قوية..
تحرك كوب الماء وسقط محدثا قطعا متناثرة من الزجاج.. ذكرني بتشقق الأرض آلاف المرات.. وانفجار فوهات البراكين.. الزجاج المتناثر أحدث خدوشا بجدران عقل ذلك الرئيس..
لم يعلق.. فقد اعتاد..
وهنا دس إصبعه يحك أسفل ذقنه..
لم تتغير عادات البشر بعدُ..
الكبار.. دائما ما يفعلون..ذلك الشيء الذي يجعل لهيئتهم هيبة..
- خذ معك خبيرا، وليكن عالم الفيزياء «كمال منصـ...».
قاطعته بغتة:
- معذرة يا سيدي.. سوف تذهب معي عالمة الجينات «سلمى مجدي».
وهنا..
منتظر رد الفعل الذي يجعله رئيسا..أو ديكتاتورا..
هل يسيطر.. يدرس.. يفسر؟
ردود فعل وجهي.. القرار المناسب.
انطقها أيها الرجل..
اهتزت الأرض مرة أخرى.. وكأنها تهدد الرجل هي الأخرى.. لم يلبث قطع جمود الجدران.
- حسنا.. خذ كل ما تحتاجه.
- أشكرك يا سيدي.. أعدك بالعودة.
وأغلقت باب الرئيس.
وسؤال اقشعرت منه أوصالي..
هل أعود؟

* * *

رسمة طفولية يحملها وجه «سلمى»..

وكأن ذلك الكون لا يعنيها..

ولماذا لا..

وقد أتى المنقذ..

الذي سوف يأخذها إلى أي مكان.. بعدما اقتُلعت من شجيرة.. ورمت بها وسط تلك المدينة العلمية؟ وهنا جاء دوري لممارسة حب قديم من بعض كتيبات علم النفس.. قائلا:

- ما الذي يجعلك تبتسمين وسعيدة إلى ذلك الحد؟

نظرت إليّ وملامحها تقول سعيدة يا معكر صفو السعادة:

- سوف أفارق ذلك الكوكب أخيرا.

الكون ينفجر..

الشمس تقترب من الأرض، الخائن يقتل صديقه المقرب، ولا يعكر مزاج المرأة سوى تقصف بعض شعيرات من رأسها..

قلت:

- يا للنساء.

وأنا أمسك بالحقيبة..

ووضعت في يدي اليمنى أساور فضية..

تحمل لوحة التحكم..أخذت بتعديل الرموز..

حتى أتاني الضوء الأخضر.. وهنا أمسكت بيدها..

وأنا أطلق أشعة ليزر نحو ذلك الحائط..

امتص الضوء..وصمت..

هتفت «سلمى» قائلة:

- ماذا بعد؟ ألا يعمل؟

وقبل كلمة أخرى..

انفتح باب من الضوء بألوان الطيف.. يشع بأضواء.. وقلت بحزم:
- هيا.
وعبرنا الحائط..
إلى أرض أخرى.

* * *

شعور بعبور قالب من الثلج..يمتلئ بموجات كهربائية..لا يؤلم..
لم تمضِ ثوانٍ عدة..
حتى خطت قدمي وقدمها على أرض جديدة.. فلم تتساقط مخلوقات من الفضاء.
تبا لأفلام أوروبا اللعينة التي تلاعبت بعقولنا عدة قرون..
«سلمى» تعتقد بوجود مخلوقات ذات رؤوس كبيرة..
ما إن ترانا حتى تهشِّم ضلوعنا..
وتدرس أجزاء من بقايانا الممزقة..تلك السماء تحمل شمسا..
شمسا..مثل شمسنا..
الأرض ثابتة..لا تهتز كأرضنا..
يا لها من بداية.
سحب داكنة تعربد في السماء، منازل على شكل مثلث هرمي..
يبدو أن مصمم تلك المنازل كان على معرفة وثيقة بـ«فرعون»..
أمسكت يدي قائلة:
- أنا خائفة.
قلت لها بهدوء:
- لا تقلقي.. هناك بشر بالتأكيد هنا.
قالت مرتجفة:
- ألم ترَ ذلك الشيء؟

وأشارت بإصبعها نحو رجل يبدو كـ«كاهن» فارع الطول..
وقف منتصبا في آخر تلك المنطقة..
يخفي وجهه.. بوشاح كالمومياء..
أرض الأموات..
أرض الزومبي..
آلاف الأفكار تطرح نفسها كالشلالات..
من ذلك الرجل؟
ما الخطوة المقبلة؟
أأصلح ذلك الرجل الذي لا يهاب شيئا..
أم أتراجع.. بضغطة مفهومة من يدي..
تعني: اطمئني؟
وتقدمنا في هدوء نحو ذلك الرجل..
الذي تشعر وكأنه عمود مغروس بتلك البقعة منذ زمن..
قالت هامسة:
- تبا لو لم يكن يجيد أي لغة أرضية.
رشحت ابتسامة خفيفة على شفتي قائلا:
- ولِمَ لا تكون الهيروغليفية؟
اتسع فمها في لسعة الدهشة.. قائلة:
- أذلك ممكن؟ هل أعادنا الحائط إلى الماضي؟
تبقت خطوات عشر ونصبح أمام ذلك الرجل المتشح بالسواد..
الذي لا ينظر بغرور زائد إلى أحد..
يخفي وجهه..
بوشاح أسود لا يظهر سوى عينين وحاجبين كثين..
أشرت له بحذر:
- مرحبا.

لم أسمع حتى صدى الصوت.. أنا أشتم رائحة الغرور من أبعد المسافات..
قالت «سلمى» متسرعة كعادتها:
- نحن غريبان، أتينا من بلاد أخرى.
وبلغة قديمة مسمارية Cuneiform أثبت وجود حنجرة بعنق ذلك الرجل، بالطبع سوف أضع الترجمة العربية:
- الملك ينتظركما.
نعم.. نعلم جميع اللغات الحية..
لم تنتظر مني حتى تعليقا، قائلة:
- الملك من؟!
أشاح بوجهه..
أعطانا ظهره..
وتقدم سائرا..
ماذا أخذنا من وجهك حتى تعطينا...؟
قالت لي:
- هيا بنا خلفه.
- هل جُننتِ؟ نذهب إلى أين؟ لا نعلم شيئا عن تلك الأرض بعدُ، وماذا عن آكلي الرؤوس؟ أجزاؤنا عشاء للأطفال.
ابتسمت قائلة:
- لا تقلق.. حاستي السادسة تقول لي إن ذلك الرجل سوف يكون بجانبنا.
- في أي مكان.. وفي أي زمان.. حقا يا للنساء.

* * *

«أسرعوا يكبلونني كأحد القوارض النادرة.. وكأن في الإسراع مكافأة.. احتفظت بآخر ملمس من يدها، آخر لمسة كانت من يدها.. آخر لمسة..».

جرَّنا خلفه كقطيع من الخراف التي تبحث عن حظيرة..
مررنا بقصور مبنية على تلال عالية..من قطع التلال نفسها، مغارات صغيرة..
يخرج منها أناس..يرتدون القش..ينظرون إلى القادمين..
ولِمَ لا وملابسنا غريبة الأطوار؟ بالطبع أتوقع ذلك..
لم يروا التحضر من قبلُ على كوكبهم..
وقفنا أمام معبد كبير تحيط به التلال العالية من كل صوب..
قال الرجل بلغة لم أفهمها: زاتا.. كوبا.. زاتا.
كأنما يقول: لقد أتينا بالغرباء..
أو: أحضرنا الوجبة..
أو.. أو..
أنا عالم ودائما أدرس ردود الفعل.
وانفتح الباب العملاق الذي يبلغ طوله ستة أمتار تقريبا..
وهنا ابتعد ذلك الأسد.. بجسد بني البشر..
عن حشرة أشبه بالثعبان الصغير..
الفارق الوحيد أن ذلك الثعبان به ثلاث أرجل بالمقدمة..
ومثلها بالمؤخرة..
قرابة متر يفصل ما بين الثلاث الأولى والأخيرة..
عجبا لو ذلك حقيقي..
ذلك التكوين الجيني..
لا أعتقد، ربما هي آلهة ذلك العصر..

ذلك ما هو منقوش على ذلك الجدار..الكبير..
وهنا قالت «سلمى»:
- بدأت فكرة الفراعنة تبتعد عن ذهني.
- ربما.
ممر طويل..كنجوم السينما العالمية..
باحترام وقف الجميع في صفوف..باليمين..وباليسار..
سرنا بالمنتصف..وبالمقدمة ذلك الكاهن الغريب..
انتهينا..إلى ذلك الفراش الوثير..
يفترشه ذلك الكهل صاحب الأذن الكبيرة..
علمت إذًا لماذا وضعوا تاجا كبيرا على رؤوس الملوك..
لإخفاء عيب ما بالرأس..
قال ذلك الكاهن موجها حديثه «سلمى»:
- أية لغة تتحدثان؟
قالت «سلمى»:
- تحدث أية لغة.. ولكن يفضَّل العربية.. صديقي يفضِّل العربية.
كأنما أتيت من عالم الحقول..فلاح..لا يعرف سوى البصم بالإصبع..
ولست ذلك العالم الذي أتى بها إلى هنا.
وهنا صمت الكاهن..
يهمس في أذن ذلك الكهل الذي قال شيئا خفيا في وهن ملحوظ..
وهنا أومأ بالإيجاب..
انتبه لي ذلك الكاهن.. وقال بهدوء بلغة عربية سليمة:
- هل أتيت بعلاج الملك المعظم؟
درست الأمور في رأسي جيدا..
يبدو أنهم بانتظار أحد لعلاج ذلك الملك..
وما إن ظهرنا في تلك المنطقة.. نعم نعم.. الاستنتاج واضح.. ما بالهم

يستقبلوننا كالملوك؟!
يبدو أنهم يظنون أننا الأطباء المنتظرون..
فقلت بثقة:
- نعم.
وهنا هتفت «سلمى»:
- أي علاج هذا؟
نظرت لها بالصمت.
وقلت للكاهن:
- اسمح لي بأخذ بعض الوقت مع زميلتي.
وأمسكت يدها.. وجررتها بضع خطوات.. وقلت هامسا:
- لن يفيد البقاء هنا.
- ألن نعالج ذلك الرجل؟
- نعم.
- ولكن أنت بالأصل طبيب.. لِمَ لا تساعد هذا الرجل؟
- وطني أهم من رجل، قلت للرئيس نبحث عن أرض نجد بها طوق نجاة، وتلك الأرض موبوءة.
هل تعلم غبار حفاز سيارة قديمة؟ هل تعلم لفحها لو كنت بالقرب منها؟
أتى صوت ذلك الكاهن:
- إلى أين أنت ذاهب؟
نظرت له بدهشة وقلت:
- لقد قلت سآخذ بعض الوقت مع زميلتي.. أهناك خطأ؟
وهنا خلع ذلك الوشاح الأسود..
وصرخت «سلمى»..
وشبه تجمدت الدماء في عروقي..
كشف ذلك الكاهن عن نصف وجه يحمل هيكلا لفك آدمي..

ملطخ بعروق مهملة بالجوانب.. وقطع من اللحم تزين جوانب الفك..
- من أنت يا رجل؟
أشار له ذلك الذي يفترش الفراش..
قائلا كنباح كلب أصيب وهو يرقد:
- «هوزاكا.. هوزاكا».
قال ذلك المسخ:
- خذوها.
وهنا جاء عملاقان من السود.
ماذا يقصدون؟ يمسكون بمن؟
أقسم لو أن الذي خطر بذهني...
كما يقول أبطال الروايات دائما ولا يفعلون شيئا..
تمسكت «سلمى» بمعصمي.. وقالت:
- ماذا ستفعلون؟ لم نفعل شيئا.
وقال ذلك المسخ الذي يشبه الدمى:
- جئتم إلى الملك.. أيها العبيد.. ولا تحملون العلاج.
فقلت بنفاد صبر:
- نحن معنا علاج ذلك الملك.. ولكن أعطنا فرصة للتشاور.
وهنا ضغط ذلك الوغد صاحب الفراش على أسنانه، قائلا:
- «كولزا».
وهنا انتبه لي المسخ بكل ما يحمل من ملامح الانتباه، والتفت إلينا قائلا:
- وما علاج الملك؟
البحث عن إجابة..
لا يُسمح هنا باستخدام لغة الصمت..
أبحث عن حلول..يجب الإسراع..
منذ دخولي ذلك المكان وأنا أفكر..

لماذا أيتها اللعينة لم تتركي لي مجالا للتجول بالمدينة؟
أنا أكره النساء.
- العلاج.
جاء صوت من خلفي:
- نعم، لقد أحضرنا علاج ملكنا المعظم.
درست تلك اللغة قديما..لغة المتحدث.
لكن توتر الأعصاب أفقدني حس التفكير.
رجل طويل القامة..متشح هو الآخر بالسواد..لا بد أنه مسخ آخر..
وأمسك معصمي عبد أسود مفتول العضلات.. قلت له بغضب:
- اترك يدي.
وقالت «سلمى» صارخة:
- لا تتركني.. لا تسمح لهم.
أسرعوا يكبلونني كأحد القوارض النادرة.. وكأن في الإسراع مكافأة.. وهم يمسكون بي.. وتذكرت آخر لمسة كانت من يدها..
آخر لمسة..
حاولت لكم أحدهم..
لم أفلح.. كصخور بشرية..
أخذوني.. وحملوني كطفل لم يبلغ الرابعة..
أرى الخدم يحملون نظرات الهلع والخوف..وهم يراقبونني..
حملوني إلى «هيرما»..

* * *

قذفوا بي في حجرة رطبة..بها شبه هياكل عظمية..مهملة..
أين عامل النظافة يا أوغاد؟

تكاد تقتلني رائحة بول أحد الحيوانات..
أرى خلف تلك القضبان الحديدية..
وجه أسد يبدو أنه يقف على شيء ما؛ حيث إن طول ذلك الباب يبلغ ثلاثة أمتار..
تبا لتلك اللعبة القديمة..التي يترك بها الخائن ليحارب حيوانا ما..
وإن فاز يعلن انتصاره..وصدقه..ويطلق سراحه..
القانون مطبق على ذلك الكوكب.
أسد..
رأس أسد..
جسد..
مفتول العضلات..
ضخم الجثة..
لماذا أصفه بضخم الجثة؟!
ذلك لأنه يحمل جسد إنسان..
برأس أسد..
ينظر بهدوء.. وضعف..
أرض أخرى..
ملامح أخرى حياتية..
المهم.. لا تتعجب مما ترى..وكأنه ليس جائعا..
ولِمَ لا ومع الطعام الدسم..جسد أضعف المخلوقات..
برأس أشد المخلوقات فتكا؟
النجاة..
تسبب حرية لي..
ومحاولة تحرير «سلمى» ثم الهروب..
احترس من الفك..

اللكمات في أماكن تمثل نقاط الضعف..
أخذت نفسا عميقا..عسى أن تتحرر المادة الصفراء بداخلي التي تمثل الثقة..
ويسير الأدرينالين بالأوردة..
ماذا يفعل؟ يتطلع إليَّ في لا مبالاة..وكأنني فأر عابث بالغرفة..
نظرت له بغضب الكون وأنا أقف منتصبا..مرحبا بالموت..
لم يقف.. بل جلس.. وكأنه ليس جائعا..
تأجلت ساعتي..
وقفت بهدوء أتطلع إلى ذلك الحيوان الغريب..
لست ذلك الرجل الذي يسرع بقتل أحد الحيوانات حتى لو كانت حياته تتوقف على موته.. غريزة البقاء هي التي تقود الحيوان دائما.. فهو لن يأكل أحدا سوى لسببين: الشعور بالتهديد.. أو الجوع الشديد.
يتنفس في سرعة..وكأن قلبه البشري يوشك على التوقف..
ينظر لي بنظرات غاضبة..أنا، وهو..بداخل غرفة رطبة..
تحمل أكره الروائح أنفذ من روائح الكحول بالخمور.. وهم بالخارج يعلمون..
وينتظرون هجوم ذلك المفتول العضلات..
على ذلك الضعيف..
صدره يرتفع وينخفض..أحد الصمامات القلبية لجسده البشري لا يتحمل..
يزمجر بهدوء.. كالقطة.. وكأنه يطلب المساعدة..
وقع أرضا.. وكأنه..
اقتربتُ منه بحذر.. عيناه تزوغان.. وما إن حاولت لمس صدره.. حتى نهش إصبعي اليسرى بوحشية:
- آآآآآآآه.. ماذا فعلت أيها الغبي؟
أمزق سترتي..
وأربط إصبعي المسكينة التي تخلت عنها مقدمتها بلا عودة..
الألم لا يُحتمل.

بثقت إصبعي باستهتار..
وكأنما تعلن أنها بوسعها قتلي في أقل من الثانية..
عيناه تزوغان..
رأسه انحنى على صدره.. وصدره لا يتوقف عن الهبوط والصعود..
«هيرما» يوشك على الموت.. أيها الأغبياء.. لا بد لي من فعل شيء..
وقع أرضا..
انحنيت أرى نبضات اليد..ضعيفة إلى حد التوقف..أخذت أضرب على صدره..وأضرب..بكلتا يديَّ.. الألم رهيب في يدي..
لا يمكن أن أتركه يموت..
لماذا؟
مشاعر الإنسان تسيطر الآن..
أريد رؤيته حيا لسبب مجهول..
منذ قدومي إلى حجرته..وتطلعه نحوي..لا يريد قتلي..
لماذا إذًا أتمنى موته؟!
أضرب.. وأقيس النبض..
«الحائط»..
أمسكت يدي اليمنى.. أدرت مؤشرا.. أضاءت شاشة خافتة حول المؤشر:
- وصف الحالة.
وجهت ذلك السهم الشفاف إلى صدر نصف الآدمي.. أجابني ذلك النداء الآلي:
- الدماء.. صاعق كهربي.. للإفاقة.
ظهر سهم شفاف.. وضعته بصدر العملاق..
الصدمات تتوالى على صدره.. و...
أفاق.. أخيرا أيها الوغد..
وزمجر بوحشية ناظرا إلى أرجاء الحجرة..

ثم.. نظر إليَّ.. لا أيها الوغد.. لقد أنقذت حياتك منذ ثوانٍ..

ابتعدت بحذر.. حتى وقف على قدميه.. واستعد لتمزيق بواقي دجاجة طازجة.

ينظر إليَّ.. كشَّر عن أنيابه:

- إذًا أنت طبيب بالفعل.

انفتح باب الحجرة..

وذلك المسخ الذي يخفي نصف وجهه..

فقلت بغضب:

- أنت أيها الوغد.

خُيل لي أنه يبتسم..

أما ذلك الوحش فقد وقف بنظرات جامدة.. لا يتحرك.

- ماذا يحدث هنا؟ وأين «سلمى»؟

- أنت ضيف.. لعظمة الملك..

الذي يعالج «هيرما».. يصبح ضيفا.

أهكذا تعاملون ضيوفكم؟

أشار إلى الحراس بأخذ ذلك الوحش..

- اذهب معي.. سأريك شيئا.

تقدمت بجانب الكاهن المسخ..

أريد «سلمى»..

ولا بأس من بعض الثرثرة..

وكشف غموض بعض الأمور.. فلم أنتظر عالما مفروشا بالورود.

* * *

هتف ممدوح:
- كوب من النسكافيه يا «سلطان».. ملعقة واحدة من السكر.
وانتبه في عجب إلى أوراق تلك القصة الخيالية..
ماذا يقصد مرسل ذلك الخطاب؟
الاستهزاء كما قال زميله؟
وهل سيسمح رئيس التحرير بنشر أحداثها؟
ما بين الواقع والخيال كلمة واحدة.. «ولِمَ لا؟».
ولماذا الاسم فقط؟
لو كان كاتب خيال علمي..أو ربما.
ترى ما تلك المدينة العلمية التي توجد بعالمه؟
لا توجد مدن علمية..
إلا إذا؟!

* * *

«وينتظرني بالأسفل.. همج.. قتلة. عاصفة حمراء تقترب..»..

- أعتذر عن إصبعك المبتورة.
- أين رفيقتي؟
- لا تتعجل.
وقفنا أمام ذلك السور..
سور أسطح أعلى القصر..
أشار إلى أسفل القصر قائلا:
- ذلك محيط قصور ملكنا المعظم.

وأشار إلى بواقي التلال ذات الكهوف السوداء للناظرين من هنا:
- وهناك يسكن شعب.. فيما مضى كان من أعظم الشعوب.. شعب «هوران».. كان يحمل السمع والطاعة لجلالة الملك.. ثم تمرد.. وبعدها أقاموا ثورات.. ثم حانت لحظة قدوم ذلك الكائن.. يحمل اسم «جليا».. صنعه أحد الأشرار بالمدينة.. وقرر تحريره لقتل الملك.. بعد تطوير الكائن أصبح «كيلشا».. جيل آخر يختفي.. ويتغذى على لحم وجه الإنسان فقط.. إلا أنني قررت صنع «هيرما».. الذي لا تستطيع الاقتراب من وجهه.
ولا تستطيع تلك الحشرة الاقتراب من «هيرما»؛ ذلك لأنه لا يحمل وجه إنسان.
اللعنة على «جليا.. هيرما».. لا بد لي من الرحيل.. ليست تلك الأرض ما أنشده..
أسرعت قائلا.. وكأنني متفهم بدهشة:
- صنعت هيرما.. كيف؟! وكيف صنعوا تلك الحشرة؟
وكأنه لم يستمع إلى كلماتي.. أكمل ببرود:
- هو خليط من الأفعى وحيوان آخر.. مجهول.. يمكنه الاختفاء والتسلل إلى أي مكان.
- وهل اقترب من الملك؟
- لا، لقد افتديت ملكنا المعظم.. وأنت رأيت نصف وجهي الآخر.
- وماذا فعلتم؟ هل وجدتم وسيلة للتخلص من ذلك الكائن؟
صمت الرجل..
وفي صمته فرصة لتسلسل الأفكار.
لماذا لم أقل وسيلة للتخلص من الشعب؟
ذلك كان يرضي غروره..
- أحطنا الأسوار بمادة تمنع دخول الأفاعي.. وبذلك منعنا نصف ذلك الكائن من دخول قصر الملك المعظم بعدما حلت اللعنة على سلطاننا المعظم.

وقد أتى أحد حكماء بالدواء.

- وما المطلوب مني؟!

نظر إلى السماء.. تطلع إلى وجهي في شرود قائلا:

- العاصفة قادمة.. وحان وقتك للهبوط إلى شعب «هوران».. للتفاوض.

- أنا لا أفهم شيئا.. هل تعلم من أنا ومن أين أتيت؟

- لقد ظهرت أمامي فجأة من العدم وأنقذت «هيرما».. إذًا أنت قادر على فعل ما هو أكثر من ذلك.

- ولو رفضت.. هل سوف...

قاطعني قائلا:

- سوف أقسم أجزاء رفيقتك إلى «هيرما».

بين المطرقة والسندان.. بين الفرار والموت.. وضعني ذلك المسخ في خيار واحد.

لو خطت قدمي إلى داخل القصر مرة أخرى لاستعادة رفيقتي.. سوف أنتقم..

يا إلهي.. ساعدني..

لقد تركوني أهبط درج القصر..

متشككا بالهواء نفسه..

وينتظرني بالأسفل.. همج.. قتلة.

عاصفة حمراء تقترب..

تواريت أخفي هيئتي عن قبائل ساكني فتحات التلال..

أشعر باطمئنان عجيب..

رمال صفراء تحوم كبقرة حول ساقية..تتحرك..تبتلع وتقتلع ما يمسها..

وهنا أغلق ساكنو التلال نوافذهم الحديدية..

وبقيت وحدي..جريت مسرعا.. ولحقت بي الدوامة الصفراء.. وكأنني أحمل جهاز تتبع..

الرمال تخدش وجهي..دماء ساخنة تكب أرضا وأدهسها بقدمي.. راكضا..

ما تلك الرمال؟
هل تحمل خناجر؟
أمسكت بيدي..أمر من الحائط بتفعيل نظام الضاغط الصوتي..
راكضا..
وقفت موجها إياها إلى الدوامة..انفجرت الدوامة..موجهة نحوي رمالا نارية
جرحت يدي صاحبة الإصبع مبتورة الطرف..
الألم لا يُحتمل..
من أيضا؟
شبح أسود..
وقف أمامي مخترقا الغبار..رجل طويل القامة يرتدي بنطالا من القش.. عارٍ
من الصدر.. كالهنود..واضعا يديه أمام صدره في هيبة..
فقلت وأنا أمسح قطرات الدماء التي زينت جزءا من شفتي اليمنى:
- عاصفتكم قاسية.
لم يرد..
يتطلع إليّ بصرامة..
- ماذا بعد؟ ألا تتحدث؟
ظهر من خلفه رجل واثنان.. ثلاثة من الرجال التفوا حولي..
قلت بحذر:
- أنا لم أضر أحدا.. جئت فقط للتفاوض.
- عد من حيث أتيت.
نطق الرجل المهيب..
توقف المشهد عند تلك اللحظة..
وأنا أراقب وجوه الجميع..
الجميع أجمع أنني أستحق نظرات الصرامة..والقسوة..
فقلت لهم بالهدوء الذي يجدي في تلك المواقف:

- أنا أعلم أنكم لستم همجا.. ولا تستحق...
تركوني وساروا..
دون أن أكمل كلماتي..
ماذا أفعل؟
سرت خلفهم قائلا:
- يا هذا.. ألا تريد معرفة من أين أتيت؟ أجب يا رجل.
التفت لي بكل صرامة الكون وأسرع نحوي.. أمسك بعنقي.. وارتفع جسدي قرابة مترين فوق الأرض قائلا بكل غضب:
- أتيت من حيث ذلك القصر.
مشيرا إلى أعلى التلال.. نحو ذلك القصر.
حاولت التملص من يده فقلت ووجهي يكتم الدماء:
- سأموت.. اتركني.
أكمل كأنه لم يسمع استغاثتي المباشرة:
- أتيت من قلب الظلام.. عد من حيث أتيت.
غيبوبة لعينة تحطم جمجمتي.. وفقدت قدرتي على المقاومة..
تركني أسقط:
- كح.. كح.. كح.. كدت أموت.. يبدو أن «هيرما» أرحم.
توقف عن السير هو وقومه ناظرا إليَّ باهتمام غير معهود قائلا:
- هل قابلت «هيرما»؟
- كاد يموت فقمت بإنقاذه.
- أنت.. أنت عالجت «هيرما»؟
- مؤقتا.. سوف تعود له نوبات ضعف في التنفس وسرعات بدقات القلب.
أشار إلى رجل.. قائلا:
- ساند ذلك الرجل.
تقدم أحدهم.. ومد لي يد العون لأقف على قدمي..

- تعالَ معنا.
كما ظننت.. إنهم أناس يحملون الأمل.

* * *

تقدمت نحو مغارة كهف كبير..
أم ترعى ابنها الناعس..
رجل يتحدث إلى امرأة عجوز بهدوء..
شيخ كبير يحمل قنينة ويصب بعضها على قنينة أخرى
محدثة غازا متصاعدا نفَّاذ الرائحة..
لا نزال نسير بداخلها بعمق..
وكلما سرنا وجدنا أناسا تبدو على ملامحهم حالة البؤس..
وجوههم متسخة..
رجال.. نساء.. شيوخ..
ذكروني بشيء ما..
«الأرض تنهار.. يجب أن نفعل شيئا.. أي شيء.. حالا».
نركض بعيدا عن الأرض التي تتشقق تحت أرجلنا..
«ما نقدر على فعله هو محاولة الوصول إلى المدينة العلمية بأي طريقة..
احذر..».
وقفز بعيدا عن شقوق الأرض التي تتفجر واحدا تلو الآخر..
قال «صلاح»:
- ذلك لو قُدر لي الوصول على قيد الحياة.
- تماسك يا صديقي سنصل.. أعدك سوف نصل.. احذذذ...
وقع بداخل شق..
أمسكت أطرافه حافة الأرض المشقوق.

أمسكت بيده..
أجذبها بكل قوة..
الأرض بالأسفل لا تحتمل..
بذلك المشهد الذي تكرر آلاف المرات على شاشات السينما.. لم أعلم قدره حقا إلا وهو يقول صارخا:
- انجُ بحياتك.
- ويل لي.. لن أتركك يا صديقي.. أمسك بيدي جيدا.. هيا اصعد.
- اتركني أيها الغبي.. عُد إلى المدينة وفعل الحائط.. إنه سبيلنا الوحيد.
أمسكت بيده..والأرض تهتز.. وتهتز..
تفجر لفح بركاني التهم مقدمة قدمه..فصرخ..صرخة لن تنساها ذاكرتي..
وترك يدي..وسقط..
سقط..وأنا المذنب..

* * *

- كيف قمت بعلاج «هيرما»؟
توقفت جمجمتي عن سرد أحداث الماضي..
ولم ألحظ أنني سرت قرابة ثلاثة كيلومترات إلا بعدما نظرت على حسابات الحائط بيدي.. وقفت أمام أطولهم على الإطلاق قامة..
نظرت له بأعلى.. وقلت:
- عالجته بموجات كهربية.
بدهشة:
- أين تلك الموجات؟!
أشرت إلى يدي وقلت:
- من هذا.
- انزعها.. وأرِني إياها.

- لا يُسمح بنزعها إلا على كوكبي.
ران الصمت قليلا.. يبدو أنه أحد أطباء ذلك الزمان.. ويبدو أيضا أنه يتأكد من صدقي بالنظر إلى حدقة عيني:
- إلى أي كوكب تنتمي؟
- الأرض.
ارتفع حاجبه الأيمن بدهشة:
- وأين يقع ذلك الأرض؟
أدرت مؤشر الحائط.. وجَّهته إلى فراغ مظلم بداخل الكهف.. حتى أضاء بضوء وهاج..
فزع البعض..وصعدت الهمهمات..
فقال الرجل بدهشة:
- باسم الآلهة.. ما هذا؟ ماذا فعلت؟
أخذت ما أريده.. انتزعت الانبهار من كبيرهم.. ويا لها من متعة.. فأكملت ببساطة:
- تلك صورة حية من مجرة كوكبي.. الأرض.
وراح محاولا لمس أحد النجوم المشتعلة..
ملايين الأحجار تسبح في فراغ..
مئات الكواكب..
قال الرجل والدهشة تتسع بعينيه:
- حقا؟ أتوجد حياة على سطح كواكب غيرنا؟
حتى أنتم لا تدرون أن قوم البشر يفكرون بمثل تلك العبقرية المفرطة..
والغرور النرجسي..
الذي يقول:
إننا خُلقنا وحدنا..
لا يوجد من مخلوقات غيرنا..

وماذا عن «الكواكب» و«النجوم» و«الشمس»؟ كل تلك الأشياء مخلوقات..
وماذا عن أحياء.. يخفق قلوبهم؟!
السمك يعيش بالبحار فكيف يتنفس الأكسجين؟ ألا يتنفس ماءً؟
لماذا نضع صوامع على مزروعات؟ ولماذا نبتة الموز ليست بطعم نبتة البرتقال؟
ولماذا شجيرة التفاح لا ينبت منها العنب؟
إذًا لماذا نعتقد دائما أنه لم يُخلق غيرنا؟
ولماذا لا تكون هناك مخلوقات أخرى تتنفس غازات أخرى؟
وماذا كوكب زحل؟
وماذا عن بلوتو؟
قطع تسلسل الأفكار ذلك الرجل قائلا وهو يرى النجوم اللامعة وكواكب دائرية:
- إذًا أنت مخلوق من كوكب آخر.. لماذا جئت إلى كوكبنا؟!
- كوكبي يشتعل.. جئت لإيجاد سبيل لإنقاذه.
ضحك ضحكة طويلة قائلا:
- وتظن أنك ستجد علاجا لكوكبك على أرضنا؟
- لا!
- جئت إلى كوكب يحكمه طاغٍ.. كوكب لا يحمل سوى المقاومة.. مقاومة الظل المظلم.. احمل حالك وارحل.. تلك نصيحتي لك يا ولدي.
- لا أستطيع.
- لماذا؟!
- إنهم يحملون رفيقتي ولن أرحل من دونها.
- أطفئ هذا وتعالَ معي.
أغلقت الحائط.. وتقدمت نحو قاعة كهفية أخرى..
بها عدة مقاعد..

ولا أدري لماذا ذكرتني بمقعد غرفة الاجتماعات بالمدينة العلمية..
وجلس الرجل بالمنتصف..
وأشار إلى بعض الرجال مفتولي العضلات بالجلوس..
صمت الجميع بانتظار أن يتحدث ذلك الكبير.
فقال الرجل:
- الهجوم سيتم الليلة.. وأنت ستمد لنا يد العون في قطع الحاجز الذي يمنع «كيلشا» من الهجوم على القصر.. هل بمقدورك؟
ينتظرون ردي..
بماذا أجيب؟ ماذا أقول؟ كل شيء من أجل «سلمى».. حياة كوكبي أو ما تبقى منه.. من أجل حياة «سلمى».. تبا لتلك الرومانسية المفرطة.. التي لا تعطي لصحابها قليلا من الخبز.. ترى أين أخذوها؟ ماذا تفعل؟ ساعدني يا إلهي.
- «ألم تسمع»؟
قالها الرجل بصرامة.. فقال هو:
- لقد أحاط «كيزاك» قصر التلال بحائط من مادة شفافة تمنع ولوج «كيلشا».. هل تملك شيئا يدمر الحاجز؟
- نعم أملك.. ولكن أولا أريد رؤية ذلك الـ«كيلشا».
قال أحدهم بصرامة:
- كيلشا.
- وليكن.
وهنا وقف كبيرهم بمهابة..وسرنا خلفه..خلف صوامع..
يا إلهي..
من أين أتت تلك التكنولوجيا؟
يحملون أواني زجاجية بداخلها أجنة التمساح.. والأفعى..
يسبحون في نوم ملائكي..

وهنا أشار إلى واحدة من المخلوقات:
- هنا تم صنع «كيلشا».. إنه يأكل لحم الوجه.
شيء مقزز.. لماذا الوجه بالذات؟ لماذا؟
لم أطرح سؤالي..
ذلك لأنه حينما رأينا كيفية خلط الأجنة ذهبنا إلى جيش من الجنود يرتدون السراويل المصنوعة من القش وشيئا تقليديا للغاية: سيوف ودروع.
استعدادا للهجوم ليلا..
على قصر الملك..
على قصر الحاكم..
لماذا اليوم؟!
لماذا؟

* * *

نظر رئيس مجلس إدارة الجريدة إلى ممدوح بصرامة قائلا:
- ماذا تريد قوله بتلك الرواية الهزلية؟
- فقط إنها تحوي مغزى ومعاني أخرى ولم تناقش من بعدُ مثل الانقلاب على الحاكم في قالب من...
- لن تنشر تلك القصة إلا على جثتي.. كواكب أخرى.. عبث آخر.
نظر له بغضب هادر.. يكمل:
- ماذا تريد قوله من نشر تلك الرواية؟ قل لي.. يبدو أنك تعيش على ركام نظام روايات قديمة تلاعبت بعقلك.. كواكب أخرى.. عبث آخر.. فكرة.. تعيش تحت أنقاض الاستهلاك.. أين التجديد؟ يبدو...
- تلك الروايات الخيالية أضاءت بعقلي طريقا آخر مختصرا نحو فتح آفاق العقل.. طريقا جعلني أفكر.. سيدي أنت حتى لم تكملها بعدُ.. فقط ضعها

على سبيل التجربة.. اسمح لي بنشرها.. على مسئوليتي الخاصة.
صمت ممدوح قليلا وتركه يفرغ ما في جعبته في تفكير صامت.. ويشعر وكأنه قال على جثتي سوف تنشر.. وليس العكس.
فالجريدة تحتاج إلى تجديد..

* * *

وقفت متقدما ذلك الجيش الكبير في أنحاء تلك الغابة..
أمسكت بيدي جهاز الحائط..
أدرت مؤشرا يدرس حالة ذلك الحاجز..
كسر الحاجز..
عكس ترددات..
من أين أتوا بموجات كتلك؟!
كوكب عجيب..
وهنا التفت إليَّ كبيرهم قائلا:
- بالداخل فتاة.. مثل حجمي.. هل هناك خطر عليها من «كيلشا»؟
نظر إلى وجهي شاردا..
- دمر ذلك الحاجز.
- لم تجب.
- قلت لك: دمر ذلك الحاجز.
- لن أدمر شيئا قبل أن أعلم.
- لست أدري.
- ومن يعلم إذًا؟
دمر ذلك الحاجز..
تصاعدت نبضات قلبي أكثر وأكثر..

أقع في فخ..
يا ليتها تعلم ماذا أفعل من أجلها تلك الغبية..
وهنا أشار إليَّ رجل مفتول الجسد.. قائلا:
- اقطع يده.

* * *

هتافات لا تجدي.. يكبلونني من كل صوب..
سكين عملاقة تتأهب لقطع يدي لأخذ الحائط..
أمسكوا يدي ووضعوها على حجر..
أقول وأردد:
- لن تعمل إذا قطعتموها..
ينظر لي بصرامة..
وقبل حدوث نزيف من الدماء..
ووداعي الأخير لأحد أطرافي..
قلت بلغة لن يفهمها أحد:
- تفعيل أشكال حيوانات النمور..
وهنا.. وُجدت من العدم نمور شرسة.. أحاطت ذلك الجيش..
تزمجر في غضب..مستعدة للانقضاض..
وهنا تركني الرجال في خوف ورهبة.. وسجدوا لأصوات حيوانات من صنع «3d».. ليست حقيقية..
وهنا سجد كبيرهم في خوف..
فقلت في غضب:
- ألم أقل لكم من البداية؟
قال الرجل وهو ساجد:

- يبدو أنه حيوان مقدس.. اغفر لي.. اغفر لي.
تبا لقوم لم يسجدوا من خشية «الله» يوما..
لو فقط يعلمون..
فقلت لهم بصرامة:
- اسجد لله وحده يا رجل.. قف.
وهنا حاول النهوض وركبتاه تلتصقان ببعضهما..
أدرت مؤشر الحائط.. بإيقاف أشكال «النمور»..
- الآن نتفاوض.
قال الرجل كالذي عاقبه والده لترك واجبه المدرسي:
- نتفاوض بشأن ماذا؟
- الفتاة لن يقترب منها ذلك الكائن.
- كيلشا.
- لن يفرق.
- حسنا.
وهنا التفت إلى صفوف خلف جيش الرجال.. وسمح له الرجال باحترام أن يتقدم..
تحدث مع العدم..
جاء إليَّ..قائلا:
- الفتاة آمنة.. دع كيلشا يخترق الحاجز.
لم أشعر باطمئنان مطلقا..وأنا أدير مؤشر الحائط..نحو قصر التلة..
لدراسة الأنحاء..وهنا حدث تفجير وهمي.. كشرارة كهربائية.. وهنا أومأت بإيجاب للرجال..وهنا..أطلق الجنون صرخة من حناجرهم..
وانطلقوا..إلى القصر..نحو تحطيم نظام قائم..
حدثت مئات المرات في عالمي..ولكن ليس بتلك السهولة..
تبا للحائط!

أو تبا لي.

* * *

أقدام تزحف..
جيوش..ولكن في تلك المرة..جيوش لا ترى..
وحش «كيلشا» الصغير يتقدم..
نعم مخلوط بجينات وراثية بالوطواط..
وضعوا خاصية تسمح لها بالاختفاء..
أرى حراس باب القصر يصرخون وهم يضعون أيديهم على شيء لا يرونه..
تمزيق بشع للوجه..
اقشعر بدني..وأنا أرى عيونا لا تحميها جفون..
عظام الأنف قطع من اللحم تزينها دماء..
عظام الفك..
صراع دموي..انتهى أخيرا..
سقطوا..
وها هم مرة أخرى الجنود يقومون بفتح الأبواب في جنح الليل..
ويا له من توقيت للقيام بالثورة..
بالأمام..
الخدم يحاربون لا شيء يتمسك بوجوههم..
النهاية معروفة لي..
فلم أنظر..
الملك جالس على كرسيه في مهابة..
يبدو أنه تعافى..
وكأنه لا يعنيه ذلك الفوران الدموي الذي سرى بداخل قصره.. وهو ينظر إلى كبير الهمج وهو يتقدم مبتسما.. قائلا:

- لحظتك الأخيرة حانت يا ملك الملوك.
ينظر له بصرامة.. سامحا له بالإكمال:
- لقد نجح وزيرك بحمايتك المرة السابقة.. أما الآن فلن أنتظر قبل أن أرى وجهك المتعفن يُقتلع من عظامك.
قال الملك بهدوء صارم:
- ترى وهل أسمح بذلك؟
- أفق يا رجل.. جيشي الصغير تخلص من رجالك بالقصر في دقائق معدودة.
ابتسم في سخرية ذلك الملك وقال:
- ضللت عقول شعبي.. جعلت من نفسك الحاكم الشرعي للمدينة.. سمحت لهم أيضا بعصيان أوامري.. بحجة أنه لا يوجد فرض لمرسوم.. نشرت الفتن.. أنت الفتنة.
وهنا تعالت ضحكات كبير الهمج قائلا:
- ها.. وماذا أيضا؟ أرني جعبتك.. إذا لم تكن قد خلت.
وأشار إلى رجاله بالكف عن القتال.. وعمَّ الهدوء أرجاء الحجرة.. فصرخ:
- «كيلشا».. اقضِ على الملك..
وهنا ابتعد عن كرسي الملك سامحا لـ«كيلشا» بتمزيق وجه الملك.. لكن هذا لم يحدث..
فقط خرج «هيرما»..
وضرب بيده أحد الرجال.. طار بعيدا..
وهنا صرخ صرخة كـ«hulk»، ذلك البطل الأخضر الأسطوري..
صرخة تصم الآذان.. وضعت يديَّ على إحدى أذنيَّ..
وهنا انكشف شكل الحشرة وأخذت تتلوى..
إذًا لم يصنعوا «هيرما» فقط كي لا ينهش وجهه..
بل لأن الأخير يحمل موجات تذيب حالة الاختفاء عند «كيلشا» وتجعله يتأثر حتى الموت.. خدعة أخرى.

صرخ كبير الهمج قائلا:
- تبا لقد كشف الخدعة.. اقتلوا ذلك الملك.
وهب الجنود نحو ذلك الملك..وهنا جاء الوزير الكاهن..
المسخ..
استل سيفه..
وحمى الملك..
موقف مكرر لهم بالطبع..
أين «سلمى»؟ علمت الآن سبب وجودي في ذلك المشهد.. أدعهم يقتلون ما يشاءون.. فذلك عالمهم.. الآن «سلمى» أين هي؟! وقبل أن أخطو خطوة واحدة.. أطلق أحدهم رمحا قاصدا قلب الكاهن.. ووقع ذلك الرجل.. تحركت بداخلي مشاعر غريبة.. وهنا وضعت مؤشر الحائط.. قائلا:
- غلاف الحماية.
وجَّهته إلى الملك.. تكونت شبكة دائرية حول الملك..
لم تلبث أن تحولت إلى بلورة.. يضربون بالسيوف.. ولا يتأثر.
وهنا نظر لي الملك بامتنان..
من التالي؟
ذلك الوغد..
وجهت نحوه ذلك الغلاف هو الآخر.. وقلت بصرامة: «كفى».
وعند تلك اللحظة..اندفع جنود الملك..
جاءوا متأخرين كتيمة «الشرطة» بعالمي القديم..
التفوا حول جنود الهمج..ونظر الجميع إلى قائد الهمج متسائلين..
وهنا قال الملك:
- لا، دعوهم.. ليس لهم ذنب.. هو من ساقهم.. هو من ضلل عقولهم.. ألقوا القبض على ذلك الرجل بداخل البلورة.

* * *

مرت الساعات الثلاث التالية..بشعور لم آلفه من قبل..
يوم واحد..وأصبحت منقذ الملك..
والسبب في القضاء على الكائن «كيلشا».. وتفجير وتحطيم ذلك الاختراع..
وجه الملك رسائل إلى شعبه من منصة الحاكم..ووعدهم بقرارات حكيمة..
لكن لا بد أن يسعى الشعب إلى دعم..
دعم من نوع آخر..دعم عقلي..
وهو الآن يعلم ما هو..
ذلك الرجل..
ذلك الملك..

* * *

«منحك قلادة ذلك الوزير.. أسير الآن مع الوزير.. لِمَ لا ترتدي زي الكاهن؟ ها ها»..
كنا نسير في ظلال الغابات العالية على ذلك الكوكب..
أنا و«سلمى»..
موجها نحوها أعذب ابتسامة.. فقلت باهتمام:
- كنت أخشى عليكِ.. خشيت أن يفعلوا بكِ شيئا.. قولي لي ماذا فعلوا معك.
- لا، أنت لا تعلم.. تعاملوا معي بلطف زائد وكرم.. شيم العرب القدماء.. حتى ذلك الكاهن المسخ.. كان يقول لي إنه يثق بك.. ويمتن لك لعلاجك «هيرما».. وضعك في اختبار.. وقال لي عذرا لاستخدامك.. إنه يقول لا تعلمين ماذا تفعل السيدات بأعتى الرجال.. إنها تصنع أساطير.
- رجل يستحق الاحترام بحق على الرغم من أنه أصيب بوجهه مرة.. وقُتل بالأخرى.. لكنه فعل ما يؤمن به.. ومات وهو ينقذ الملك.
ولسبب مجهول تذكرت وميضا من الماضي..

«الأرض تنهار.. يجب أن نفعل شيئا.. أي شيء.. حالا»..

نركض بعيدا عن الأرض التي تتشقق تحت أرجلنا..

«ما نقدر على فعله هو محاولة الوصول إلى المدينة العلمية بأي طريقة.. احذر».

وقفز بعيدا عن شقوق الأرض التي تتفجر واحدة تلو الأخرى..

قال «صلاح»:

- ذلك لو قدر لي الوصول على قيد الحياة.

- تماسك يا صديقي.. سنصل.. أعدك سوف نصل.. احذذذ....

وقع بداخل شق..

مسكت أطرافه حافة الأرض المشقوقة.

أمسكت بيده..

أجذبها بكل قوة..

الأرض بالأسفل لا تحتمل..

بذلك المشهد الذي تكرر آلاف المرات على شاشات السينما.. لم أعلم قدره حقا إلا وهو يقول صارخا:

- انجُ بحياتك.

- ويل لي.. لن أتركك يا صديقي.. أمسك بيدي جيدا.. هيا اصعد.

- اتركني أيها الغبي.. عد إلى المدينة وفعّل الحائط.. إنه سبيلنا الوحيد.

أمسكت بيده..

والأرض تهتز.. وتهتز..

تفجر لفح بركاني التهم مقدمة قدمه..فصرخ صرخة لن تنساها ذاكرتي..

وترك يدي..وسقط..

سقط..وأنا المذنب..

لكزتني..

عدت إلى أرض الواقع..

تغيرت ملامحها الملائكية بنبرة حزينة.. قائلة:
- ما بك؟
- لا شيء.
لست أدري لماذا ازداد الموقف حزنا وأنا أقول:
- اسمحي لي بالاعتذار.
- علامَ؟
- من الآن سوف أحترم حاستك.. كان معك كل الحق.. عندما صدقت مشاعرك.. كنت بالجانب الصادق.. ونحن بجوار ذلك الكاهن.. وسرت أنا نحو حدسي المخطئ.
ابتسمت قائلة:
- غفرت لك.
- حقا يا للنساء.
- المرة المقبلة ثق فيما أقول أيها الشقي.
- ألم أقل لكِ شيئا؟
- ماذا؟
- لقد هرب كبير الهمج.. وحمل معه إصرار دمج الجينات.. يقولون إنه هرب إلى كوكب آخر وزمن آخر.. قديم.
لكزتني قائلة:
- هذا ما تريد قوله حقا؟
- نعم.. يبدو أنه سوف ينقل أسراره إلى فرعون كوكب آخر.. وهل أنتِ بانتظار شيء آخر أقوله؟
- لا.
وأخذنا نسير..
وقلت لها:
- ها قد حان الوقت.. هيا لنترك ذلك الكوكب إلى كوكب آخر.

عالم جديد..يبدو مرعبا..
البشر كالبقر..خيوط متصلة بالجسد.. ينفذ منها الدماء، كي يتغذى عليها قوم آخرون..وعندما ينتهي ذلك العمر الافتراضي للبشري يعد الطعام..
ولكن تلك قصة أخرى..

* * *

قال «ممدوح»:
- ما رأيك يا رفيق؟ لقد أعطاني الرئيس الضوء الأخضر لنشرها بغض النظر عن أجزاء عن الأحداث الخيالية.. ما رأيك؟
- لست أدري.. القنبلة ستنفجر بوجهك وليس وجهي.
- سوف ترى.. تلك الرواية ستحقق المنشود بزيادة المتابعين.
- أو العكس.
- لا تكن متشائما يا رجل.
- إذًا ليوفقك الله.. ستحقق النجاح المطلوب.. أهذا ما تريد سماعه؟
تم نشر القصة مسلسلة..
ولكن ما حدث..
كان عكس المتوقع..
والبقية تأتي.

«تمت»

* * *

غرفة المحادثة

عيسوي: حلوة يا جماعة.. عجبت الكل ولا إيه؟

ميادة: لا جامدة، بس مش شايف إنها واخدة لون غربي حبَّة؟

عيسوي: أشكرك.. كل حاجة فيها خيال أكيد بتكون واخدة من الغرب حاجة.. بس ما بيبقاش مقصود.

إيمان مسعود: حساها زي جون كارتر.. حد عارف الفيلم ده؟

أدمن: تقريبا الفيلم ده اتصرف عليه ملايين وملايين بس ما جابش إيرادات.. حد عارف ليه؟

إيمان مسعود: علشان القصة مش محبوكة.. رغم إن الصورة هايلة.. كل حاجة فيه روعة.. بس القصة للأسف ما كانتش قد مسئولية الكاميرا.

عيسوي: لا يا أفندم، أنا ما صورتش المخلوقات بأربع دراعات.. وإنها بتمتلك قوة خارقة.. أو أو.. خانك التعبير.

إيمان مسعود: لا، انت اديته قوة خارقة عن طريق الحائط.

عيسوي: تقصدي سلاح تاني يعوَّض فكرة القوة الخارقة؟

إيمان مسعود: مظبوط.

عيسوي: والله ما خدت الفكرة من الفيلم ولا من أي مكان، من وحي خيالي بس.

أدمن: أنا مصدق.

الدبور: مين صاحب القصة دي؟

عيسوي: أنا.

إيمان مسعود: قصتك حلوة.. بس تبعد عن اللون الغربي هتبقى هايل.. أنا واثقة من كده.
الدبور: رواية غبية زي صاحبها.
عيسوي: لو مفيش بنات كنت عرفتك بتكلم مين..
أدمن: مفيش سباب هنا.. اللي عايز بره المنتدى.
الدبور: ومين الحمار التاني؟
أدمن: دبور «بلوك».
الدبور: اسمي الدبور.. ها ها ها ها.. يا منتدى ابن...
عيسوي: ما الذي أعجبك يا ميادة؟
ميادة: حدس المرأة، دايما إحساس البنت بيكون صح.. بالذات من ناحية الخطر، لازم الراجل يثق في حس المرأة.. مش قالوا إن عندنا حاسة سادسة؟
أدمن: معاكي حق.
عيسوي: أنا كاتب وشاعر رومانسي.
ميادة: أيوه يعني، عايز إيه؟
مصطفى خلف: طالب القرب منك.. عجبته دماغك.. ها ها.
أدمن: انت جيت؟ فين باقي القصة؟ أنا قلت إن الدموي خلص عليك.. هههه.
ميادة: لا شرب من دمه.. هههههه.
مصطفى خلف: كنت لسّه بكتبها على «اللاب توب».
أدمن: طب يلا ابعتها.
مصطفى خلف: مش هتراجعها الأول؟
أدمن: لا.. أنا بثق فيك.
مصطفى خلف: أوك.. بص عندك في صندوق الوارد.. يا جماعة أنا حاسس فيه خيال.. مممم.. أو شبح اسود في اوضتي.
أدمن: حتى انت؟

مصطفى خلف: ورايا على طول.. أنا مرعوب.. بيقلي اكتب جملة واحدة.. «أنا الدموي».. رسالتي وصلت.

ميادة: كان شخص لطيف.

أدمن: أرسل تحياتي إلى سارة.

ميادة: ههههههه.

أدمن: ههههههه.

* * *

قسم الروايات

قصة مرسلة من الصديق «مصطفى خلف»

«المنكود ٢»

العقل المسروق..

صوت أقدام..أحاديث..همسات..

داخل صدري قلبي يرتجف..

رأيت صديقي..

هلاوس..

رجل يفتح بيديه عينيَّ..يصوب قلما به وميض أبيض، ألم قاتل في ظهري..

الصوت يتضح رويدا رويدا..

فتحت عينيَّ بضعف..رأيت رجلا يرتدي زيا أبيض يقترب من ذراعي يدس محقنا كبيرا..

الوغد.. الآلام قاتلة.. أكاد أموت.. من أنا؟ من هؤلاء؟ أين أنا؟

أحدهم يقول:

- غيبوبة مرة أخرى..

وذهبت إليها..إلى الغيبوبة.

* * *

فتحت عيني ببطء.. أنظر إلى سقف الحجرة.. أخذت أمسح الغرفة بعينيَّ..

أنا في غرفة تنتشر بها أجهزة عجيبة..

أشكال وأشياء مألوفة..

جسدي متخشب.. حلقي جاف..ربما بجانب الفراش شيء يعطيني جرعة من الماء..حاولت أن أحرك يدي.. سقط شيء ما وانكسر إثر لمسة يدي..

- أفقت أخيرا؟!

شخص دخل الغرفة..يرتدي زيا أبيض..أمسك يدي يقيس النبض..

ينظر إلى مؤشرات الشاشة التي بجانبي.. وقال بسخرية:

- مرحبا يا رجل في العالم من جديد.. أعلم أنك لا تستطيع تحريك جسدك، ذلك شيء طبيعي.. لقد مررت بتجربة مدهشة.. ولكن استجابة أعصابك جيدة، سوف تستطيع تحريك جسدك قريبا.. اطمئن.

نظرت إليه بنظرة خاوية بلا تعبير.. اكتشاف آخر، لا أتحدث.. لقد لاحظ ذلك وهو ينظر إليَّ بالسخرية نفسها، وقال:

- معظم وظائف جسدك لا تعمل الآن.. جسدك كان يمر بمرحلة خاصة جدا.. وتحتاج لمران.. وسوف تستعيد بعده كامل لياقتك.

شعرت بدمعة حارة تسقط على وجنتي.. أكمل في لا مبالاة:

- أعلم ما تشعر به.. لقد كان هنا الكثير مثلك ومروا بالظروف نفسها.

غرس محقنا في عنقي به مادة حمراء اللون وقال:

- ذلك سوف يساعدك، سوف أمر عليك مرة أخرى.. وداعا.

وذهب الرجل..

تركني وحيدا في تلك الغرفة..

عيناي ظلتا تحدقان في كل شيء بالغرفة وكأنني أدرس أشكال الأشياء من حولي، حاولت الاسترخاء، ولكن لا أستطيع..

هناك ألم في الظهر..يداي ترتعشان ولونهما داكن..

حاولت التركيز في شيء آخر بعيدا عن ذلك الألم ولم أفلح..

حتى اخترق الغرفة رجلان ليسا من أصحاب الزي الأبيض..

وقف أحدهما يتطلع إلى مؤشر النبضات..

والآخر رجل بشارب كث وعينين ضيقتين في وجه دائري.. تقدم نحوي واقترب بوجهه قائلا بذهول:

- يوسف؟ أنت يوسف؟

لم أنطق وأنا أرى ذلك الوجه المألوف.. إنه شخص أعرفه..

حاولت النطق.. ولم أفلح، قبل أن يقطع أوصال الموقف نداء الآخر يقول:

- هيا أسرع.. يجب أن ننهي المهمة في أسرع وقت.

فقال الرجل وهو يبعد وجهه بحزم:

- حسنا.

أخرج محقنا من جيب سترته ودسه في المحلول الموضوع بجانبي.

ما تلك المادة؟ ومن هؤلاء؟هل ذلك سم؟
شعور أن جسدي مر بالموت.. وشعور أن الخطر حولي يتأهب..

* * *

قال الرجل بحزم:
- ننتظرك يا رجل.. لو شعرت بتحسن لا تخبرهم.. لا تخبر أحدا على الإطلاق.
وبنظرة شعرت أن ذاكرتي تحفظها عن ظهر قلب كان يرمقني..
حاول الرجل كتم مشاعره.. وصرخ الآخر قائلا:
- هيا.. الرجال سيأتون.
وذهب الرجلان في سرعة.. كاللصوص.. من هما؟!
مرة أخرى.. يا إلهي..
إنها تلك اللعينة..
الغيبوبة.

* * *

في تلك المرة..أفاق جسدي بأكمله..شعرت بطاقة عجيبة..
يدي استعادت لونها الطبيعي..أحرك أصابعي في خفة..
عضلات جسدي بأكملها نشطة..
اختفت آلام الظهر تماما..
الآن ذاكرتي في حالة من الوعي التام بأحداث الماضي..
أعلم لماذا أنا هنا..
مرة أخرى يقتحم في هدوء صاحب الزي الأبيض..
الرجل صاحب الوجه القاسي لا يصلح كطبيب أبدا.
أخذ يراجع التقارير.. ويرى مؤشرات.. ونظر لي بشك، وقبل أن ينطق بكلمة واحدة تذكرت كلمات الرجل صاحب الوجه المألوف.. يجب ألا يعلموا أنني

استعدت نشاطي.. لماذا ألتزم بكلام الرجل؟ لا أعلم..
قال الطبيب في هدوء:
- هل تشعر بألم في الظهر؟
نظرت إليه نظرة حائرة وحرَّكت رأسي في بطء بالإيجاب، لعله يعلم أنني ما زلت أصمّ..
نظر إلى التقارير في لا مبالاة قائلا:
- قادر على تحريك رأسك.. شيء إيجابي.. وتشعر بألم في الظهر.. وما زلت غير قادر على النطق.. حسنا.
وذهب الرجل.. وفي تلك المرة لا أدري سبب الشعور بالخوف..
ما الذي يحدث حولي؟
لماذا أخفي شفائي؟ بل لماذا أشعر أن ذلك الرجل يكن شيئا ما خفيا.. يكن حقدا..
حقدا غريبا؟

* * *

هناك نقطة خفية لا أراها..
جسدي استعاد كامل عافيته.. لكن عقلي مشوش.. من ذلك الرجل الذي أعطاني المحقن وذهب؟ لماذا صورته محفورة في ذكرياتي؟ ولماذا لا أعرف من هو؟ هل هو صديقي؟ أخي؟!
من يكون؟
- أراك استعدت كامل عافيتك!
رجل جديد، رجل يرتدي سترة سوداء، صاحب ملامح أوروبية خالصة ووجه مستدير بشارب خفيف..
ذلك الرجل لا أعرفه..
- لماذا لا تجيب؟ أما زلت أصم؟

يجب أن أنفذ التعليمات.. لا يجب أن أعطيهم جوابا شافيا.. أثق في الوجه المألوف، أما الغرباء فكلا..
تقدم الرجل نحوه في خطوات واثقة وعلت شفتيه ابتسامة ساخرة قائلا:
- تبدو تماما كما كنت.. يا إلهي، كم تطورت التكنولوجيا في ذلك العصر.. لقد أعادتك من جديد إلى الحياة.. إلى حياتي.. أنت ستكون أسطورتي القادمة.. أسطورة أنا صانعها.
كلمات لا تريح أي قلب.. صانعي! كيف؟ وكيف أعادني؟ هل كنت سأموت؟ هل ذلك الرجل أنقذني؟ لم يبالِ بعينيَّ المتسعتين دهشة وهو يتحرك بثقة.. وكالذي يحدث نفسه قال:
- أعلم أنك تريد معرفة المزيد.. أعلم أن ذاكرتك متوقفة عند ذلك الحادث المؤلم، لكن حدثت الكثير من الأمور، لقد تغيرت الأحداث تماما.. وأنت مدين لي بحياتك.. لقد أدخلت جسدك بعد الحادث في شيء يسمى جهاز تنشيط الحياة.. الذي جعل جسدك يلملم جروحك والكسور، حتى إنه جعل عضلات جسدك بأكملها نشطة، نعم بنيتك أصبحت قوية.. لكن استعادة وعيك لم تكن أمرا سهلا.
وأشار إلى رأسي قائلا باهتمام:
- رأسك كان في حالة يُرثى لها.. كان محطما.. بالتأكيد شيء إيجابي استعادة وعيك وإدراكك بعض الأشياء.. لو كنا تركناك هناك لأصبحت في عداد الموتى.
واقترب من وجهي قائلا:
- لكن لا تقلق، سوف تستعيد قدراتك وصوتك وذكاءك.. تنضم إلينا، إلى منظمتي.. منظمتي الخاصة.
كلمات عسيرة الهضم والفهم.. جعلت الخفقات تستغيث داخل صدري من ذلك الرجل مطالبه بعدم رؤيته مرة أخرى..
ارتفع رنين هاتف.. اختطف جهازه المحمول وقال:
- من؟ وماذا يريد ذلك الرجل؟ أنا أتابع بعض الأعمال.. حسنا.. أنا في طريقي.

وضع الهاتف داخل السترة السوداء قائلا بابتسامة هادئة غير مريحة:
- لا تقلق، سوف أعود مجددا، وعندما أعود سوف نغادر ذلك المكان الكئيب.
وذهب الرجل.. أما أنا ففي ثلاجة الدهشة وضعت مشاعري؛ فعدم معرفتي بالأمور المحيطة يجعلني في حالة حيرة..لاوخوف..
ذلك الرجل ليس في الجانب الإيجابي من حياتي السابقة..
ويا إلهي من القادمة..
ماذا أفعل؟
فقط الانتظار لقدوم الآخرين وسماع قصص عن ذكريات الغبي الملقب بـ«أنا»..
من أنا؟

* * *

دخل ممرض..
نعم.. أحفظ شكل ذلك الزي..
بالتأكيد يجب أن أستريح قليلا..
هو ليس أحدهم..
يرى المؤشرات..يقيس النبض..
ينزع بعض الأسلاك المتصلة بجلد صدري، لم يقل شيئا.. يخرج محقنا.. يدسه في الوريد.. انتهى الرجل.. سيرحل.. اتجه إلى الباب..
كنت أعلم..ليس أحدهم..
فتح باب الغرفة ببطء.. وكأنه يراقب أحدهم.. يبدو أنه يفتعل موقفا مع أحد زملائه الخبثاء.. أغلق الباب بالبطء نفسه.. أسرع نحوي، يا إلهي، إنه أحدهم، ماذا سيفعل؟ قال بصرامة:
- هيا، سوف نهرب من ذلك المكان، الآن هم يتابعون إجراءات نقلك من هذا المكان، سوف ترتدي زي التمريض هذا، وسوف نرحل من هنا قبل عودتهم،

هيا أسرع.

وفي تلك اللحظة ولأول مرة أشعر بحبالي الصوتية وقلت بخوف:

- ماذا يريدون مني؟

نظر بصرامة وقال:

- يريدون محو تاريخك بتاريخ شخص آخر من صنعهم.

ارتديت الزي في سرعة وقلت:

- ومن الشخص الذي صنعوه؟

قال الرجل بحزم:

- فيما بعد سوف تعلم كل شيء.. المهم أن تعلم أنهم خطرون لأقصى حد، وأنت لا تعلم من أنت وملامح من تحمل.

أستطيع الشعور بجمجمتي تفور داخل رأسي من تلك الدوامة وأسير كالدمية في يد أشخاص ولا أعلم في يد من سوف أُستغل.

وما إن انتهى الرجل من إعداد كل شيء ووضع وسادة كبيرة على الفراش وغطاها بعناية.. حتى ذهبنا بخفة نحو باب الغرفة..

وقفت خلف الرجل بتوتر، منتظرا الأمر بالتحرك، فأسرعنا نغادر الحجرة، فقال هامسا:

- كن طبيعيا تماما، حتى نخرج من ذلك المكان.

لم أنطق ونحن نسير بهدوء، وحاولت إخفاء الرعب الذي اجتاح وجهي، وقال:

- هناك باب خلفي هناك في انتظارنا رجالنا، ها هو.

وصلنا إلى ذلك الباب الزجاجي، و... يا إلهي إنه ذلك الرجل صاحب السترة السوداء.. يهبط من سيارته متجها إلى الباب نفسه.. فقال الرجل:

- هيا أسرع.. سوف نغير الخطة.

وقبل أن نتراجع رآني الرجل..

وكالذي يشاهد مشهدا مستحيل حدوثه اتسعت عيناه، وبصرامة استل

مسدسه وجرى مسرعا نحونا..

* * *

أمسك يدي رجل آخر لا أعرفه وقال بصرامة:

- مِن هنا.

وأسرعنا نحن الثلاثة نجري في ذلك الممر الطويل، حتى توقفنا أمام باب حجرة جانبية، فتح الباب في سرعة، وما إن دخلنا الغرفة حتى أسرع يغلقها جيدا، حجرة خالية.. بها نافذة واحدة، أسرع الرجل يفتح النافذة وقال بصرامة:

-هيا اقفز.. أسرع.

وقفت أمام النافذة.. وقبل أن أضع قدمي انكسر باب الحجرة إثر طلقات نارية، وأطل منها وبكل غضب الكون صاحب السترة السوداء وقال بصرامة:

- وهل تعتقدون أنني سأسمح لكم بذلك وبكل سهولة أيها الحمقى؟!

وقبل أن تكون هناك بادرة من الرجلين أطلق الرجل الرصاص ببشاعة على جمجمة رجل، وطلقات في قلب وأمعاء الآخر..

تسمرت قدماي منتظرا موتا قادما وقلت بتردد وصوت مرتعد:

- هل.. هل ستقتلني؟

تقدم نحوي بابتسامة كبيرة:

- لقد استعدت صوتك أخيرا يا رجل.. ذلك خبر جيد.

وأشار إلى جثة الرجلين وقال بنبرة ألباتشينو:

- كيف أشكركما؟ لقد أعدتما صوت الرجل.

وقلت مترددا مرة أخرى:

- هل ستقتلني؟

قال بدهشة مصطنعة:

- أقتلك؟! لا، لا تقل هذا، أنت صديقي، صديقي الوحيد وشريكي.. أما هما فمجرد فأرين.. وحزني الوحيد أنك استعدت صوتك على أيديهما.

وقال رابتا على كتفي بالأسلوب المصطنع نفسه:
- لماذا هربت معهما؟ هل أقنعاك بشيء؟
تلعثمت ونحن نخرج من الغرفة، حاولت قول شيء ولم أعرف قبل أن يقول ساخرا:
- لا عليك، هيا سوف نذهب إلى بيتي ونترك ذلك المكان العجيب.
وذهبنا في تلك السيارة الكبيرة التي تختلف في التكوين عن باقي سيارات ذلك الشارع الطويل..
وذهبنا إلى هناك..إلى منزله.

* * *

وما إن يعلموا السر حتى يقتلوك، فأنت في كلتا الحالتين شخص ميت..
- هل تشعر بتحسن؟
قالها الرجل وهو جالس خلف مكتب كبير وفخم، ينم عن ذوق رفيع، فقلت بتردد:
- نعم.. أنا أفضل الآن.
أمسك الرجل بكأس وأخذ يصب من تلك الزجاجة الخمر، ثم انتبه لي فجأة وقال بشغف مصطنع:
- أتريد كأسا؟
نظرت إلى الكأس بتوتر وقلت:
- لا.. لا أريد.
فقال بابتسامة خفيفة:
- حسنا، كنت أعلم، الآن أريدك أن تنتبه جيدا، أريدك أن تخبرني ماذا تتذكر عن ماضيك.. أريد جميع التفاصيل، وبدقة.
فقلت بتلقائية غبية:
- ولماذا؟

فقال بدهشة:
- صديقي، أنت تعلم أنك مررت بتجربة عجيبة وصعبة، ويجب أن نعلم مدى إدراكك ونطمئن لسلامة ذاكرتك.. وسوف نساعدك في استعادة كامل إدراكك.
حاولت ترتيب أفكاري واستعادة القليل من الهدوء، وقلت بتلعثم:
- أنا لا أعلم ما هو اسمي، لا أعلم إلى أي بلد أنتمي، فقط أتذكر أنني عالم، عالم كيميائي، تربيت في بلد لا أعلم ما اسمه، كنت في سبيلي لإطلاق معلومات عن تجربة سوف تساعد أي دولة قادرة على الدفاع عن نفسها مهما بلغ صغرها، وعن طريق معادلتي.. التي لا أذكرها جيدا و... وذلك الحادث.. لقد كنت في سيارة متجها إلى المؤتمر، قبل أن يهاجمنا بعضهم بالسيارة ويطلق الرصاص، و...
هذا ما أذكر.
وقف الرجل وتقدم نحوي وقال مواسيا:
- هوِّن عليك يا صديقي، أنت الآن على قيد الحياة، وهذا يكفي.. وأعدك أنك ستكون في أمان عندما نعود إلى وطننا.
فقلت بشغف:
- أنا أنتمي إلى دولة؟
فقال الرجل وعاودته الابتسامة شبه الساخرة:
- ألا تحاول تذكر وطنك؟
فقلت في سرعة:
- لا أتذكر شيئا، أقسم لك.
قال الرجل:
- كم لغة تجيدها؟
فقلت وأنا أحاول استرجاع ما بذاكرتي:
- أنا أجيد اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية و...

فقال الرجل باهتمام أكثر وتلاشت الابتسامة تماما:

- وماذا أيضا؟

فقلت بتردد:

- أعتقد العربية.

أسرع الرجل ضاربا يده على ذلك المكتب وقال بحزم:

- وذلك من أكبر أخطائك.. فلغة هؤلاء هي لغة الهمج، حاول أن تتناساها، فأنت بعيد عنهم تماما في كل شيء.. على الأقل أنت وُلدت في أوروبا.

فقلت بلهفة:

- وإلى أي عرق أنتمي إذًا؟

فقال:

- أنت تنتمي إلينا وإلى جميع بلاد الغرب يا صديقي، وستصبح رمزا لدولتنا.

حاولت هضم كلام ذلك الرجل، وحشره حشرا في أساس مبادئي وداخل أروقة ذكرياتي الحديثة.. أنا أنتمي إليهم؟

محتمل..

ومحتمل أيضا أن...

- ما رأيك يا صديقي؟ أنت معنا؟

أخرجني مرة أخرى من دوار الفهم، وقلت محاولا اصطناع الذكاء:

- وماذا تريدون مني بالضبط؟

عاودته ابتسامة الود الزائفة وقال:

- أريد منك الإشراف التام على المشروع الجديد في قلب تلك العاصمة.. أنت بمعلوماتك وخبراتك سوف تجعلنا من صفوة البلاد يا صديقي، وغدا سوف نذهب إلى المعمل لتثبت لنا صحة نظريتك العبقرية أيها البطل.

نظرية؟!

إثبات؟!

يا إلهي.. أنا لا أذكر أي شيء، لا أعلم كيف أكون العالم الذي كان في الماضي..

بل لا أذكر سوى ذكريات، وتلك اللغات..
ماذا لو لم أعطهم تلك المعلومات؟!
ماذا سيكون مصيري؟
محتمل أن أتذكر في ذلك المعمل غدا..محتمل.
معمل كبير تنبعث رائحة الهواء الثلجي من كل أنحائه، تراصت الأدوات الطبية في كل قطعة من أركانه.. أدوات تشع بريقا وكأنها لم تُلمس، في انتظار التائه الميت، حولي انتشر أكثر من خمسة عشر من أصحاب الزي الأبيض، ينظرون إليَّ في شيء من الانبهار.. وكأنني المعلم وهم مجرد تلاميذ، في انتظار أن يخط الأستاذ البداية..
وماذا لو علموا أن الأستاذ أقل شأنا من تلك النظرات؟
- ماذا تنتظر؟ هيا ابدأ..
قالها صاحب السترة السوداء.. ذلك الشخص يسير معي في كل مكان حتى لو قررت الذهاب إلى...
تقدمت نحو الطاولة، تحوي قارورات بلورية بألوان مختلفة، أمسكت بواحدة.. كدت أسقطها أرضا من كثرة التوتر..
حقا لا أعلم.. ماذا أفعل؟
بماذا أبدأ؟ماذا أقول؟
تقدم نحوي أحد الرجال يرتدي الزي الأبيض وأمسك بالقارورة وقال بهدوء:
- هل تعرف كيف تُستخدم هذه الأشياء؟
نظرت له بنظرة خاوية، وتلعثمت قبل أن أحسم أمري وقلت:
- ذاكرتي مشوشة، لا أدري ما بي.
تقدم نحوي صاحب السترة السوداء وقال بهدوء مخيف:
- نسيت أن أخبرك بأمر مهم للغاية.. لقد كنت طوال أكثر من أربعة شهور في غيبوبة، وكنا نستخدم أفضل تكنولوجيا لإعادة نشاطك، وفي تلك الفترات تستعيد كامل حيويتك، وعندما استعدت وعيك، مؤشرات المخ تدل على

أنك في كامل إدراكك التام، ومعنى ذلك أن ذاكرتك نشطة الآن، أو أن هؤلاء نجحوا في...

قاطعته بتوتر وقلت:

- أنا أتذكر أشكال تلك الأشياء، وأعرفها جيدا.

أمسكت إحدى قارورات السوائل وقلت:

- هذا سائل أكسجين مؤكسد به القليل من البوتاسيوم، مع إضافة سوائل أخرى خضراء اللون يبدو كمستخلص نبات ما، وهي خلطة لعمل تجربة.. لا أدري.. أنا أتذكر الأشكال ولكن...

ارتفع حاجبا أحد الرجال وقال بدهشة:

- إنه يعرف التركيب من الشكل الخارجي فقط.

فقال صاحب السترة السوداء بدهشة مصطنعة:

- لماذا لا تذكر إذًا المعادلة يا صديقي؟ ذاكرتك جيدة.. هيا يا صديقي، الوقت ليس في صالحنا.

حاولت إضافة شيء ما..

ولم أعرف، أنا لا أعلم تلك المعادلة، حقا لا أعلم، لا أتذكر سوى تركيب تلك الأشياء.. المعادلة في جزء من خلايا مخي أذكرها.. أذكر أن خبايا عقلي تضع المعادلة في بند الاهتمامات الخاصة..

بل إن المعادلة واضحة في عقلي..

ولكن لا أرها..لا أراها مطلقا..كالذي ينظر إلى السماء ولا يعرف كتابة اسمها..

هتف واحد من الحضور قائلا:

- يجب عرضه على الطبيب فيليب.

لم يلتفت له صاحب السترة السوداء بل كان موجها كل نظرات الشك إلى مشاعري التي كادت تفور كمياه تعرضت لأقصى درجات الحرارة..

يفحص ردود فعلي..

قبل أن يحسم أمره.. قال بصرامة:

- فليكن، أحضروا «فيليب» فورا.
أشار إلى وجهي قائلا:
- وخذوه إلى الحجرة وراقبوه جيدا.
لم أنطق وأنا أشاهد الرجل يمسك بذراعي قائلا بصرامة:
- هيا.

* * *

كل ما مررت به قصصته بالتفصيل لذلك الطبيب فيليب، صاحب الوجه القاسي..
يبدو كعامل نظافة أقرب منه إلى الطبيب..
فخرج الطبيب متوجها إلى صاحب السترة السوداء وسمعته يقول:
- إنه لا يعلم شيئا.. لا يذكر سوى صور الأشياء، أخشى يا سيدي أن تكون التجربة فاشـ...
قاطعه الرجل وبصوت عالٍ وصارم:
- لا وألف لا.. ذلك الرجل يعلم.. التجربة ناجحة بكل المقاييس.. سوف نستخرج المعلومات بأي طريقة حتى لو أخرجت جمجمته من رأسه.
فقال الرجل بانفعال:
- إنه لا يعلم أي شيء، حتى لو كان يخفي شيئا سوف ينكشف.
فقال الرجل:
- أنا أعلم ماذا فعل العرب.. سوف أستخرج تلك المعلومات بكل الطرق.
فقال «فيليب» مستسلما:
- إنه أمامك، افعل به ما يحلو لك.
ارتعدت أوصالي وأنا أسمع خطواته الواثقة الصارمة تدق على الأرض كديناصور حي قادم لالتهام أحد المخلوقات الضعيفة.. وبخطوات واثقة وبنظرة نارية كان يرمقني.. أمسك فروة رأسي بقسوة مقتربا من أذني.. قال

بصرامة:
- سوف أحصل على المعلومات حتى لو قطّعتك لأجزاء.. هل تريد يدك أم قدمك منفصلة عن جسدك؟
شعرت بألم وهو يزداد تمسكا بخصلات رأسي بقسوة، فقلت بألم:
- أقسم لك لا أعلم.. لا أعرف ماذا حدث لي.. لا تقتلني.
ترك فروة رأسي بقسوة وقال وهو يعدل من هندامه:
- حسنا، ما دمت في كلتا الحالتين شخصا ميتا، ستموت مرة أخرى.
وأخرج ذلك المسدس.. وصوّبه نحو رأسي.. وإصبعه تضغط على الزناد..

* * *

أطلق جرس النجاة المؤقت من هاتف الرجل الذي أجاب قائلا:
- لن أذهب الآن، لن أترك المشروع، حسنا، دع الحرس يدخلوا لحراسة الحالة، أنا في طريقي إليك.
أغلق الهاتف وقال بأسلوب غليظ:
- لقد تأجل موعدك، سوف أدعك تفكر قليلا حتى أعود.. وسوف أترك هنا الحرس، مع إعطاء أوامر بقتلك في أي لحظة لو بدر منك أي تصرف غريب.
وهنا انفتح باب الغرفة وأطل «فيليب» بوجهه القاسي، فقال الرجل بدهشة صارمة:
- أين الحرس؟
قال «فيليب» بحزم:
- سوف أراقبه وأحاول مرة أخرى.. عسى أن يستجيب تلك المرة.
نظر الرجل إلى «فيليب» وكأنه يفكر في الأمر، وقال بصرامة:
- حسنا.. حاول بكل قدراتك، ولك مكافأة خاصة مني، وسوف أذكرك في تقريري.
بثقة:

- لك هذا يا سيدي.

وذهب الرجل، وترك ذلك الوحش الآدمي العملاق.. أنا أعلم مصيري، سوف يقتلني بأدق الوسائل.. يبدو خبيرا في أساليب التعذيب.. تحرك «فيليب» نحو باب الغرفة وأغلق الباب جيدا.. وأمسك بكرسي وجلس أمامي وقال بهدوء خافت:

- استمع جيدا.. سوف أخرجك من ذلك الموقف، وسوف تنفذ تعليماتي بدقة.. و...

قلت مقاطعا بدهشة:

- وبتلك البساطة؟

قال وقد تغيرت ملامحه إلى الصرامة:

- لو في الظروف العادية كنت سأستخرج المعلومات حتى لو لم تكن تعلم حقا.. كنت ستتمنى الموت ألف مرة.

حاولت إخفاء خوفي وقلت بتردد مرتجف:

- ولماذا؟

قال بحزم:

- لقد دفعوا الكثير، بل الكثير جدا، وهذا كفيل بترك تلك الوظيفة الحقيرة، وسوف أذهب إلى بلد آخر بعيدا عن هؤلاء.. وأبناء وطنك يريدونك بأي ثمن.

فقلت بشغف:

- من أبناء وطني؟

قال الرجل بحقد عجيب:

- إنهم من العرب، والآن استمع إليَّ جيدا.. سوف تدعي أنك فقدت وعيك..

فقلت بسذاجة:

- بماذا؟

وجدته يقف ويهوي على رأسي بقبضته.. شعرت بجسدي يهوي من أعلى الجبال.. وقبل أن أذهب إلى تلك الغيبوبة، سمعت صوته يصرخ:

- موريس، جون، جاك.. لقد سقط الرجل.
أصوات أقدام، أحدهم يقول:
- يا إلهي.. ماذا فعلت يا فيليب؟
أصوات أقدام.. و...
لا شيء.

* * *

صوت محرك سيارة خلف ضباب عقلي مشوش، لم يلبث أن علا رويدا رويدا..
فتحت جفوني بتثاقل، يقود «فيليب» السيارة، نظر باهتمام قائلا:
- أخيرا أفقت؟ اعتقدت أنك مت!
لم أنطق وأنا أرى شوارع تلك العاصمة المبهرة..
التي أحفظها في ذاكرتي القديمة، لكن تلك أول مرة حقيقة أراها.. تناقض عجيب، قلت لـ«فيليب»:
- إلى أين نحن ذاهبون؟
قال «فيليب»:
- إنهم في انتظارنا في أحد الشوارع الجانبية.. لا تقلق، لقد اقتربنا.
ولم يلبث أن انعطف بالسيارة في أحد الشوارع الجانبية.. في انتظارنا سيارة سوداء ورجلان، أحدهما صاحب الوجه المألوف الذي رأيته من قبل.. توقفنا بجوارهما تماما.. هبطنا من السيارة.. أسرع «فيليب» إلى أحد الرجلين قائلا:
- ها هو أمامكما كما اتفقنا.. أأحضرتما كل شيء؟
تقدم رجل حاملا حقيبة كبيرة سوداء قائلا:
- ونحن لا نحنث بوعدنا أبدا يا «فيليب».. هذه الحقيبة تحوي المبلغ وجواز سفر باسم آخر، هيا أسرع.. إنهم يبحثون عنك.
اختطف «فيليب» الحقيبة وقبل أن يذهب نظر إليَّ قائلا:
- معذرة على الكدمات يا رجل.. لا تعتبرها أمرا شخصيا.. على الرغم من

كرهي للعرب فإنني وبتعاملي معكم الأول علمت الآن قيمة الوعد.. وداعا أيها العرب.

وانطلق «فيليب» نحو إحدى سيارات الأجرة.. وذهب.

ربت على كتفي صاحب الوجه المألوف وبنظرة حملت الكثير قال:

- مرحبا بعودتك مرة أخرى.. هيا نذهب إلى الوطن.. وطنك الأصلي يا «يوسف».

وانطلقنا بالسيارة، حملتنا إلى ذلك المطار.. وعندما صعدت على متن تلك الطائرة وجهت سؤالي للرجل وقلت بشغف:

- هل أنا عربي.. أم أنا أحدهم؟

اتسعت ابتسامة الرجل وقال بود:

- أنت عربي ومصري خالص يا «يوسف».

شعرت بارتياح عجيب لكلمات الرجل.. شعرت أن كلمة عربي تعني الأمان.. حتى وأنا أعلم أنني لم أولد في أي دولة عربية..

ذلك الشعور هو من كان ينحشر في مشاعري طوال تلك الرحلة.. لم أشعر بسعادة مثلما شعرت الآن وأنا أنظر إلى تلك الأهرامات الثلاثة.. ونيل واسع.. أعرف أسماءها.. وصورتها محفورة في كيان عقلي المتردد..

يبدو حقا أنني أنتمي إلى ذلك الوطن..إلى ذلك الكيان الدافئ..

لكن القصة لم تنتهِ..

أنت لا تعلم من أنا منذ البداية.. لم يكن هناك شيء مفقود في ذاكرتي..

فعليا أنا أرى ذلك الوطن لأول مرة..

وفي ذلك المبنى المهيب.. علمت من أنا..ووجه من أحمل..

أنا..

لست هو..

* * *

دخل قاعة كبيرة.. قاعة اجتماعات خاصة.. جلس ذلك الرجل صاحب الوجه المألوف بجواري يتفحص وجهي في صمت.. ولم يلبث أن دخل الغرفة ثلاثة رجال يتقدمهم رجل رصين أصلع الرأس بشارب خفيف متجاوزا الخمسين من عمره..

وجلس في المنتصف بوقار.. وقال بهدوء موجها حديثه إليَّ:

- أعلم أن هناك أسئلة كثيرة تود طرحها.. ولكن قبل أن تتساءل، أود أن أظهر لك بعض الحقائق التي ستمهد لك الكثير.. هيا ابدأ يا «مجدي».

ذهب المدعو «مجدي» إلى جهاز صغير أضاء شاشة كبيرة الحجم، وكالمعلم بدأ الدرس قائلا:

- منذ أوائل القرن الحادي والعشرين، ظهرت ثورة التكنولوجيا في صناعة واستخدام الأعضاء البشرية.. بل وأيضا زرع الأعضاء التي كانت، منذ زمن، من المستحيلات، حتى جاءت تلك اللحظة التي اكتشف فيها عالم إنجليزي أنه يمكن نقل مهارات الإنسان عن طريق إنسان آخر وباستخدام التكنولوجيا المدمجة.. استخدم العقل البشري كـ«كارت الميموري» المتصل بجهاز الحاسوب، لنقل البيانات والأرقام إلى «كارت ميموري» آخر.. كذلك قام العالم بتطبيق تلك التكنولوجيا على البشر.. فأحضر رجلا طاعنا في السن اكتسب الكثير من المهارات التعليمية وفنون الحياة، وتم نقل ونسخ الكثير من المفاهيم والتعاليم السابقة للرجل لطفل صغير لم يتجاوز العاشرة من عمرة.. كما في تلك الصورة.

وتظهر صورة الرجل والطفل وحولهما انتشرت عدة أسلاك متشابكة وجهاز دائري وُضع على جمجمة الرجل الكبيرة وآخر للطفل..

وأكمل «مجدي»:

- وبعد إتمام التجربة.. كان النجاح المدوي للتجربة؛ فقد تغيرت طباع الطفل كثيرا.. ونجحت التجربة إلى أقصى حد، وجعلت الطفل يحصل على أعلى تقدير في جامعات نيويورك.. بل ويستفيد الطلبة من خبرات طفل اكتسب

جميع الخبرات الحياتية من عملية نقل الذاكرة وأصبح مكسبا كبيرا.. أطلق العالم طفرة النجاح الأولى.. وأتمها بتجربة أخرى.. بل يمكننا القول: طفرة أخرى.. فقد دمج «ديفيد» ظاهرة نقل الذاكرة في ظاهرة الاستنساخ.. وفي تلك الصورة أمامكم فتاة تبلغ من العمر الخامسة والعشرين، تم استنساخ نسخة طبق الأصل منها ونقل تفاصيل ذاكرة الفتاة لها.. وعن طريق جهاز النمو الحيوي أصبحت المستنسخة تبلغ الخامسة والعشرين مثل الأخرى.. وبعدها حدثت جريمة بشعة.. فقد قامت الفتاة المستنسخة بقتل الأصلية.. بحجة أنه لا تستحق أن تعيش سوى واحدة.. والغريب أن الفتاة الأصلية كانت طيبة القلب ورقيقة ومحبوبة للجميع.. كانت التجربة تثبت أن الأخرى ستكون مثلها تماما.. وحدث العكس.. وفشلت التجربة.. وتم إنهاء التجربة تماما.. والتي كانت لو استمرت كان سيصبح الجميع قادرا على استعادة الموتى بكل تفاصيل ذاكرتهم.. وبعد عدة أيام من غلق المشروع تم قتل العالم واختفت الأجهزة على يد مجهولين.

تلعثمت قليلا محاولا إدراك شيء، فقلت بتردد:

- وما شأني بذلك كله؟

أكمل «مجدي» وكأنه لم يسمعني:

- وعندما ظهر العالم المصري يوسف الدهشان قام بتجربة أخرى ونقلة تاريخية في تاريخ كوكب الأرض.. تجربة تجعل أي دولة قادرة على الدفاع عن نفسها مهما بلغ ضعفها.. وفي الصورة تلك أمامكم يظهر العالم يوسف الدهشان في المؤتمر الصحفي ويطلق إحدى تجاربه العلمية.. التي جعلت دولتنا من دول الصفوة في علوم الأرض.. وصورة أخرى يظهر فيها العالم يوسف الدهشان ويتسلم قلادة ووسام الجمهورية الشرفية من الرئيس نفسه.. ولكن...

قاطعه الرجل الوقور قائلا بهدوء:

- كاد العالم المصري يحطم الأرقام القياسية في الاكتشافات العلمية.. لكن

هناك عيونا تنتظر من بعيد.. لا تريد أن يصبح لنا صوت.. وذلك الاكتشاف سوف يجعل مصر الأولى علميا ويثبت أن عقولنا المصرية أقوى من عقولهم التي كانت ولا تزال بلا قيم.. وبما أنهم يعتقدون أنهم لا يُقهرون، فقد تم، وبتدبير دقيق، قتل العالم يوسف الدهشان ليصبح السر ملكهم وللأبد.

قال صاحب الوجه المألوف:

- هل تبين لك شيء الآن؟

قلت مرتبكا ولا أدري ماذا أقول:

- لا.. ولا أعلم الرابط بين تجربة الاستنساخ وتجربتي الخاصة بـ...

قاطعني الوقور قائلا بحزم:

- أنت نسخة من يوسف الدهشان.. أقصد الشهيد يوسف الدهشان.

نسخة!!

* * *

أنا نسخة.. مجرد نسخة.. جسدي تكوين لآخر.. عقلي نسيج لعقله..

علمت الآن لماذا أنا هنا.. أنا النسخة، أنا مجرد صورة..

لست هو..

فقال صاحب الوجه المألوف بإشفاق:

- «يوسف» كان أقرب صديق لي.. وعندما علمت بتلك الفعلة اللعينة هرعت أحمي آخر صورة تركها، وهو أنت.

حاولت منع شلالات الدموع وقلت بنبرة متحسرة:

- وكيف حدث ذلك؟ كيف قتلوه؟

قال الوقور وكأنه يكظم غيظه بهدوء:

- تم اختطافه.. وبعد تعذيب قاسٍ وبكل السبل لم يفصح العالم المصري.. فقد مات متأثرا بجراح ونزيف حاد.. كانوا يتوقعون ذلك.. موته.. وتم إعداد البديل.. النسخة الأخرى.. وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة تم نقل جميع

التفاصيل للنسخة الأخرى.. ولكن لم تتم إضافة تفاصيل الانتماء، ومحوا اسم البلد الذي ينتمي إليه ومحوا آخر تفاصيل من ذاكرتك بشأن التعذيب، وعندما تفيق تعلم أنك معهم، هم من أنقذوك وبلدك هو بلدهم.. فتعطيهم السر، بل ويستفيدون من «يوسف» آخر، مِن صنعهم، وعندما علمنا بتلك التجربة هرعنا حتى ننقذك من براثن هؤلاء.

وهنا شعرت بدموعي الحارة تتساقط وقلت:

- وهل أنقذتموني بسبب سر التجربة؟

فقال الوقور:

- أنت مستنسخ من رجل مصري.. وأنت، مهما كانت نشأتك، مصري خالص، ومصر لا تترك أبناءها، حتى المستنسخين منها.. أما السر فنحن نعلمه جيدا.. والعدو مهما تقدمت تكنولوجيته فلن يستطيع الحصول عليه.

الشعور بالأمان اجتاح كياني لكلمات الرجل.. لكوني مصريا خالصا كما يقول، فقلت بلهفة:

- لماذا لا أعلم السر؟ فتفاصيل الذاكرة في عقلي ويجب أن أكون على دراية تامة بتلك التجربة.

وهنا قال «مجدي» في سرعة وكأنه انتبه أنه معنا:

- نسيت أن أخبركم أن الفتاة المستنسخة لم تكن تحمل روح الأخرى.

فقلت بحيرة:

- كيف؟ أعني أنه يجب أن...

قاطعني قائلا:

- في الكمبيوتر هناك برنامج كامل يتكون من الكثير من الجيجا بايت، فقط يحتاج لكود بسيط للتشغيل، لا يتعدى حجمه واحد كيلو بايت.. فمن دونه ذلك البرنامج الهائل بلا جدوى.

حاولت هضم كلماته وقلت في حيرة:

- وفي البشر، ما كود التشغيل؟

هنا قال الوقور بهدوئه المعهود:
- إنها الروح.. الروح هي كود التشغيل البشري، فمهما توصلوا إلى أقصى الحدود في التكنولوجيا فلن يحصلوا على روح العالم.
فقال صاحب الوجه المألوف:
- «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي».
فقالوا جميعا في خشوع:
- ونِعم بالله.
وقال الوقور:
- الدكتور يوسف شخص سريع البديهة يحمل روحا ساخرة ومتحدية لأقصى حد، لبق في الحديث، غامض، سريع في العمليات الحسابية، عبقري بالفطرة، يعشق وطنه بكل كيانه، حتى استشهد في سبيل الله ووطنه.. أما أنت فعكسه تماما.. عكسه في كل شيء.. بطيء الاستيعاب، متردد، ترتعد في الحديث، وعلى الرغم من المعلومات التي تمتلكها لكنك لا تعلم كيف تستخدمها، وربما كسول أيضا.. ولا تمتلك القدرة على مجاراة الأحداث.. الخلاصة ومهما فعلوا، لن يحصلوا على روح يوسف الدهشان.. فهي الوحيدة التي تملك السر، وليس جسده.
وهنا تنهد صديق يوسف الدهشان قائلا:
- كنت أعلم أنه لن يعود مرة أخرى، رحمه الله، أما أنت وعلى الرغم من أنك نسخة أخرى، فأنت آخر ما تبقى من «يوسف».
فقلت بحيرة:
- والآن، هل سأعيش حياتي كيوسف الدهشان؟
فقال الوقور:
- بل ستحمل هوية جديدة، وسوف تحصل على حياتك الخاصة وسوف تملك منزلا، وتعيش حرا في وطنك، وبجراحة بسيطة نغير ملامحك، وحاول أن تتناسى تلك الأحداث، ولو أردت أن تعمل وتستفيد من المعلومات التي في

رأسك وتفيد بها وطنك، فأنت الذي يقرر وليس نحن.
وكعادتي ترددت مرة أخرى في النطق.. فماذا أقول؟ تلك المعلومات والخبرات السابقة لن تجدي؛ فروحي وكياني يشعران بالكسل، يبدو أنهم على حق، فأنا أملك كل شيء ما عدا روحه.. وأنا الذي أقرر.. وقراري لا أعلمه..
فأنا نسخة أخرى.. نسخة عكسية.. من عبقري..
قراري..
ترددت مرة أخرى.. فلا جدوى من عقلي.. لا جدوى من نسخة..
ففي النهاية لا يوجد شيء يمكن سرقته عنوة ويُستفاد منه..
فبكل الأحوال أنا مجرد عقل..
عقل مسروق.

* * *

- أنت مستنسخ؟!
قلتها بدهشة الأغبياء، وكأنني زميله في الغرفة، أومئ برأسه في إيجاب وقال ساخرا:
- لن تصدق، وأنا أعلم ذلك، حتى أنت.. الجميع لا يصدقون.. لكنها الحقيقة.
فقلت بدهشة عارمة:
- الذي تقوله يعد من مستحيلات الزمن، كيف تكون مستنسخا؟ كيف تكون نسخة أخرى من رجل آخر؟
دمعت عينا الرجل وقال بحزن:
- لا تشغل بالك.. فقط دعني أسترِح قليلا.. أريد النوم.
فقلت وأنا أنتفض من مكاني:
- حسنا يا سيدي ولا تقلق، لو أردت شيئا فأنا بالخارج.
تركت الرجل وحيدا، دموعه لا يمكن أن تكون نابعة من جنون، لا أعلم..
فقط أريد أن أعلم تقرير الطبيب عن ذلك الرجل؛ فالدليل على صحة ذلك

الحديث تقرير الطبيب، وكالمعتاد عندما يذهب الطبيب، أذهب إلى حجرته أشاهد التقرير، وكان مضمونه كالآتي:

المريض يدَّعي أنه نسخة من رجل آخر، من العالم الشهيد الراحل يوسف الدهشان، تلك حالة تقمص كاملة؛ فيبدو أن الرجل انغمس في دراسة الرجل، بل وجعله مثله الأعلى؛ فالمريض يعلم كل شيء عن العالم، وأيضا اكتسب عدة لغات حية، كان يشتهر العالِم بمعرفتها، الذي كان قدوة.. كالمرضى الذين يتقمصون شخصيات المطربين والفنانين، والغريب أنه اختار عالما، على الرغم من أنه شخص لا يحبذ العلوم ويمقت العمليات الحسابية، حالة معقدة للغاية، سوف أضعه تحت الملاحظة في مشفاي الخاص ونبدأ أولى مراحل العلاج..

في أثناء دراستي للمشاعر الإنسانية.. تذكرت مبدأ كشف الكذب العلمي، من كتيب علم النفس، دراسة حركات الجسد.. التي مبادئها كالتالي قبل بداية العلاج:

١- مراقبة حركة عيني المتحدث:

- من خلال اتجاه نظرة عينيه، فعندما يحاول الصادق تذكر تفاصيل ما فإنه ينظر يمينا، أما الكاذب فينظر يسارا.

٢- راقب الحنجرة:

- يميل الكاذب باستمرار إلى تليين حنجرته، وذلك من خلال البلع أو تناول الماء لإزالة التوتر.

٣- تابع حركات باقي أجزاء الجسم:

- عند متابعتك للكاذب فإنك ستلاحظ أن يديه وذراعيه ورجليه محدودة الحركة بل ومتيبسة، كما تلاحظ في بعض الأحيان أنه يلمس أذنيه أو الجزء الخلفي من الرقبة بيديه، من جهة أخرى تذكر أن هذه ربما تكون علامات على العصبية لا الكذب.

٤- لاحظ نبرة الصوت في أثناء الكلام:

- يمكن لنبرة الصوت أن تكون مؤشرا على الكذب؛ حيث إن الكاذب يبدأ فجأة في الحديث بشكل أسرع أو أبطأ من المعتاد، أو أن التوتر يجعل نبرة الصوت تعلو فجأة.

٥- التفاصيل الذهنية المبالغ فيها:

- يميل بعض الكاذبين إلى إضافة المزيد من التفاصيل المبالغ فيها لكلماته بعد أن يشعر باليأس من محاولاته السابقة في أن يجعلك تصدقه.

عندما يقوم المتحدث إليك بالكذب فهو يفقد الشعور بالوقت الواجب عليه استغراقه للقيام برد الفعل، فإذا قمت بتوجيه سؤال إلى شخص ما، ثم قام هذا الشخص بالرد السريع بعد انتهاء السؤال مباشرة فإن ذلك يعد دليلا على الكذب، وربما يعود السبب في ذلك إلى قيامه بتدريب نفسه على هذه الإجابة والتحضير لها من قبل.

٦- راقب ردود فعل الكاذب تجاه أسئلتك:

- دائما ما يشعر الكاذب بعدم الارتياح في جلسته في أثناء توجيهك الأسئلة إليه؛ حيث يتحول برأسه أو جسده بعيدا، أو أن يقوم لا شعوريا بوضع شيء ما بينه وبينك، كما أنه خلال توجيهك الاتهام لشخص صادق بأنه لا يقول الصدق، فإنه يتخذ موقف المهاجم الغاضب، أما الكاذب فيأخذ موقف المدافع.

٧- انتبه لتكرار المتحدث لجمله:

- إذا قام المشتبه به باستخدام الكلمات نفسها مرارا وتكرارا فإن ذلك يعد مؤشرا على قيامه بالكذب، كما أنه يحاول في كثير من الأحيان أن يتذكر جملا بعينها، والتي تبدو مقنعة، وعندما تطلب منه إعادة شرح الموقف تجده يعيد استخدام الجمل نفسها مرة أخرى.

* * *

من الجيد مراجعة الدراسات العلمية.. عندما أرى عكس ذلك الحديث برمته، كل ما سبق ينطبق على ذلك المريض المتلعثم.. معادلة محيرة.. عندما أرى عكس تلك الكلمات السابقة..
الذي يدعوني للشك والاستسلام للخرافات.. هل يمكن فعلا أن يكون حديثه على حق؟
وهذا ربما يغير مسار العلاج برمته.. ويجعلني أضع يدي على مواطن المرض الحقيقي..
«لماذا يأتي صديق العالم الشهيد يوسف الدهشان لزيارة الرجل...»؟
سوف أطرح هذا السؤال في المرة المقبلة، عسى أن يكون حرفا في جملة العلاج..
ربما أكون بواقع مريض يتعايش مع جسد آخر.. أو ربما تكون دراستي العليمة الروتينية صحيحة.. حقيقة لست أدري.. «المرضى في بعض الأحيان يجعلونك أمام أبواب الجنون».
أغلقت التقرير، ولا أعلم أين الحقيقة..
الأيام مرت على تلك الواقعة، وشاهدت مرضى آخرين، لم يجذبني إليهم أي فضول سوى تلك الحالتين، أتعلمون لماذا؟
لقد اجتمع المستنسخان يوسف وإبراهيم في غرفة واحدة.. كطريقة جديدة للعلاج.. فالطبيب كان يرى أن يكتسب المستنسخ صديقا، ويبتعد إبراهيم عن الوحدة..
الذي حدث جعلني أتراجع عن فكرة كونهما مريضين..
كُشف لغز لم يحاول فك رمزه ذلك الطبيب التعيس..
على يدي ممرجي بسيط..
يا لسخرية القدر!

* * *

إنها مشكلتي الوحيدة التي ليس لها علاج..
فنهاية التطفل والتدخل في أمور لا تخص الأفراد تكون كارثة..
فأصبح أنا «المنكود»..
فنهايتي كانت قريبة..
بل أقرب مما كنت أتصور..
كعادتي أنظف العيادة جيدا.. أدخل إلى حجرة الطبيب، أرى بعض التقارير.. أدعي تنظيمها لو اقتحم الطبيب الحجرة فجأة.. لست أدري لماذا فتحت ذلك الدرج.. «حب الاستطلاع».. وجدت شيئا أشبه بـ«الموبيل».. ولكوني لا أعلم كيف يعمل أخذت أدوس على أزراره في نهم حتى صدر صوت..
صوت الطبيب يقول:
- أريدك أن تقص كل شيء، وبلا استثناء.
وصمت طويلا حتى قطع ذلك الصمت صوت ذلك المريض الذي أعرفه جيدا، الذي يقول إنه شبيه العالم المصري، يقول:
- كوابيس.. أرى أشياء لم أعشها قط.. فكما أخبرتك من قبل عن حالتي الخاصة.. وكوني مستنسخا من رجل آخر.. اكتئاب قاتل وكأنني على حافة الموت.. ألم قاتل ينهش في عظامي.. جسدي الذي نما في ظروف غامضة لا يتحمل.. أشعر أنني هش مقترب من حافة الموت.
صمت آخر ينتشر قبل أن يقطعه صوت الطبيب قائلا بهدوء:
- أمر طبيعي لحالتك.. وكما أخبرتك من قبل وأعطيتك الحلول.. أنت عنيد لا تريد تنفيذ ما أقول.
قال المريض بصوت متوتر:
- لقد حاولت، حاولت ألف مرة ولم أفلح، حاولت أن أعيش حياة جديدة، لكن شعوري لم يتغير ولم تتحسن حالتي.
قال الطبيب بالهدوء نفسه:
- أنت أخبرتني من قبلُ أنك تملك معلومات عن الطاقة النووية، هل تستطيع

كتابة إحدى المعادلات؟
صوت المريض يقول بضيق:
- أنا لا أحب أن أتذكر تلك المعادلات، بل وأمقت إمساك القلم.
الطبيب:
- فقط حاول.
صمت مرة أخرى، صوت أوراق، تكة قلم..
الطبيب:
- ما تلك التركيبة؟
المريض:
- إنها تركيبة بسيطة لقنبلة يدوية.
الطبيب:
- أنت تتذكر كل شيء، لماذا إذًا لا تتذكر ذلك السر الذي من أجله تم استنساخك؟
المريض:
- لا أعلم، إنه في ذاكرتي كشيء ضبابي لا أعلمه، على الرغم من أن عقلي يقول إنني أعلم كل التفاصيل، شيء معقد، لست قادرا حتى على تذكر حرف واحد من المعادلة.
الطبيب:
- في تلك الحالة، يمكننا القول: إن ذلك السر هو سبب كل ما تشعر به، لو تذكرته ربما نكون قد عالجنا كل شيء.
المريض:
- كيف وأنا لا أتذكر؟
الطبيب:
- جلسة تنويم مغناطيسي هي الحل.
المريض:

- حسنا.
اقتحم الطبيب فجأة..
كم كنت أتوقع تلك اللحظات منذ زمن.. دون أن يطرق بابها..
كما توقعت الحجرة.. وسقط الجهاز من يدي على أرض الحجرة، وهنا وبنظرة نارية رمقني الطبيب ولأول مرة أراه بتلك الصرامة قائلا:
- ماذا كنت تفعل بذلك الجهاز؟ ولماذا فتحت ذلك الدرج؟
قلت في سرعة وباعتيادي على الكذب:
- كنت أنظف المكتب وسمعت صوتا خشيت أن يكون فأرا، ففتحت ذلك الدرج ورفعت الأوراق والجهاز الـ...
قاطعني الطبيب الصارم واختطف من يدي الجهاز بشراسة وقال بكل صرامة:
- لو ارتكبت تلك الفعلة سوف أجعل أطرافك جميعها مشلولة.. هيا اغرب عن وجهي.
شعرت بالإهانة تملأ أوصالي، وكأنني طفل في الخامسة من عمره ولست رجلا بالغا من العمر الخامسة والأربعين.. وذهبت إلى مكتبي الصغير متمنيا أن تنشق الأرض وتبتلعني.. وفي عقلي الذي يبسط الأمور كان يردد: «وإيه يعني؟!»..
وقبل أن أذهب لم يرَني وأنا ألتقط...

* * *

جلست أطالع الصحف.. أو منتظرا أمر الطبيب برفتي من منصبي الكبير.. والغريب أنه لم يطلبني.. أو يدخل مريضا.. صمت..
فقط الصمت..
وصوت تقليب ورق الجريدة..
ارتفع صوت الطبيب قائلا:
- تعالَ.

وهببت من ذلك الكرسي وألقيت الجريدة.. ووقفت أمامه مباشرة، نظر إليَّ متفحصا، وقبل أن أنطق قال:
- هل سمعت شيئا؟
فقلت بتردد اللص أمام الضابط:
- أنا لم أستمع إلى شيء، فقط أمسكت بالجهاز وحاولت أن أ...
قاطعني بهدوء عجيب:
- أنا أعلم أنك استمعت.
وأشار إلى شاشة الجهاز في يده قائلا:
- لقد استمعت أكثر من عشر دقائق كاملة.. أتعلم ما معنى ذلك؟
شعرت برجفة في أوصالي بنظرته النارية الهادئة، حاولت أن أدافع وأنطق حرفا من حروف الاستغاثة، قبل أن يقول بهدوء:
- إنك تعلم الكثير عن حالاتي، التي لا يمكن لأحد سواي معرفتها.. ما يجعلني أتخذ قرارا بطردك من تلك العيادة.
فقلت محاولا تجسيد أحد أدوار المتسولين:
- سيدي، أنا لم أكن أقصد، أرجوك سامحني، فلن أرتكب تلك الفعلة مرة أخرى.. أعدك.
شبَّك يديه أمام وجهه وكأن توسلي جعله يفكر في الأمر، وقبل أن يتخذ قراره قلت متحمسا لتفكيره في الأمر:
- سيدي، لقد تعب جسدي من البحث عن العمل، أعلم أنني ارتكبت أخطاء، ولكن أنت لا يرضيك أن أصبح بلا عمل أو...
قاطعني بهدوء:
- حسنا، لن أطردك.
فقلت بسعادة الظفر:
- أشكرك يا سيدي، وأعدك أنني لن أتطفل مرة أخرى.. أعدك.
وقف الطبيب وقال:

- أريدك أن تذهب الآن إلى مشفاي الخاص، وإلى ذلك المريض وتنتظرني هناك.
فقلت في سرعة:
- هل ستنقلني للعمل هناك؟
فقال الرجل بصرامة:
- لا.. فقط نفذ ما أمرتك به.
ولم أجادله وهبطت الدرج وذهبت إلى هناك..
قلبي ليس مطمئنا لنبرة ذلك الطبيب..
هناك شيء ما.. شيء غريب في حديثه معي..
لن أفكر، المهم أنني ما زلت أعمل، ولم أُطرد..
حسنا، لنكتشف من ذلك المريض ما حدث في جلسة التنويم المغناطيسي..
يا إلهي..
ما زلت مريضا بذلك المرض اللعين..
«الفضول».

* * *

وصلت للمشفى.. أسرعت نحو الدرج وصعدت إلى الحجرة المنشودة، وقبل أن أطرق بابها سمعت صوت.. ألصقت أذني بالباب.. صوته.. يحدث شخصا ما.. يا إلهي.. كيف يدخل شخص إلى حجرة المر... نسيت أنه المريض الآخر.. إبراهيم المعتوه.. ماذا يقول ذلك الغبي؟ صوت إبراهيم يقول بتوتر:
- أنت الشخص الوحيد الذي يصدق قصتي.. أعلمت الآن سبب شحوبي المستمر؟ إنها تراقبني.. تريد الخلاص مني.. إنها تبعث قطة من حين لآخر.. ترمقني وتذهب.
عرفت أنني أعلم سرها الدفين وسر تلك الفتاة.. وأنت مثلي تعلم ذلك السر.
صوت الآخر يقول:

- وأنا مثلك.. أشعر وكأن أحدهم يراقبني.. يسعى خلف السر القابع بداخل جمجمتي، والذي لا أعرفه.. هناك من يسعى خلفه بعد هروبي.. ولا أدري لماذا أشعر أن موتي وشيك.. مثلك تماما.

وقال «إبراهيم» بحزن:

- أعلم يا صديقي.. أتعلم؟ لم يكن لي صديق يوما ما.. حتى في طفولتي.. لم يكن أبواي يسمحان لي باللعب مثل باقي الأطفال خشية أن يقع لي حادث.. كانا يرهبان مشهد سقوطي أرضا.. وعندما أصبحت رجلا لم أكن أسمح لنفسي تلقائيا أن أنسجم وسط البشر.. كنت أخشى.. ولا أعلم لماذا أخشى.. ولماذا فعلا ذلك.

- على الأقل لك والدان.. إخوة.. أما أنا فقد وُلدت لأكون وحيدا.. بذاكرة أخرى.. أنت لا تعلم ذلك الشعور.. شعور وكأنك صورة.. شعور أنك لا شيء.

صوت «إبراهيم» وبنبرة مواسية:

- لا تحزن.. فكلانا وُلد لكي يكون وحيدا.. وها نحن نجتمع في مكان واحد.. أتشرف بأني أحظى بصداقة شخص مثلك.. أتسمح بذلك يا صديقي؟

صوت الآخر:

- ومن يرفض صداقة رجل رعديد ومتوتر مثلي؟

وهنا اقتحمت الحجرة.. رأيت الرجلين يتصافحان.. وفي نظرة كليهما حزن عميق.. قطعت ذلك المشهد وقلت بمرح:

- ها قد بدأ العلاج.. مرحبا يا رجال.

نظر شبيه العالم «المزعوم» إليَّ بنظرة خاوية وقال بهدوء خالٍ من الارتباك والتوتر المشتهر به:

- كنا بانتظارك.

فقال «إبراهيم»:

- أنت الوحيد القادر على ذلك.

فقلت بشغف:

- أنا رهن إشارتكما.. ماذا تريدان؟
نظر الاثنان إلى بعضهما وكأنهما يقولان شيئا ما قبل أن يقطع «إبراهيم» الصمت قائلا بحسم:
- نريد الهروب من هنا.
وقع الجواب عليَّ كضربة «الشومة» على الرأس.. فقلت بذهول:
- ولماذا تهربان؟ أنتما أتيتما إلى هنا للعلاج بنفسيكما ولم يجبركما أحد.
أسرع «إبراهيم» يغلق باب الحجرة، وأشار إلينا أن نصمت.. وألصق أذنه مثلما فعلت من قبل.. وقال شبيه العالم:
- هل هناك أحد؟
اعتدل «إبراهيم» وقال بصوت هامس:
- لا أحد.
وانتبه الاثنان إليَّ وقال «إبراهيم» بصوت هامس:
- نحن الاثنين في خطر، بل نحن الثلاثة.
فزعت لقوله وقلت كالذي لدغته عقرب:
- لماذا أنا؟ أنا لم أفعل شيئا.. لم أفعل شيئا.
فقال شبيه العالم بصرامة:
- اخفض صوتك يا رجل واستمع.
حاولت كتمان انفعالي وأن أستمع كما يقول، ففرت كلمة من فمي وقلت:
- أنا لم أفعل لكما شيئا.
أشار «إبراهيم» إليَّ بالصمت.. وصوت أقدام تقترب من الحجرة..
تقترب..
وتقترب..
ثم..
ابتعدت..
قلت هامسا بحذر:

- لقد ذهب.

أشار «إبراهيم» إلى النافذة وقال لي:

- اذهب وسوف ترى.

هرعت أنظر من النافذة بحذر.. إنه الطبيب هناك يقف أمام رجلين ذوَي سترتين سوداوين يتحدثون.. لا شيء.. ما هذا؟ امرأة شمطاء ذات شعر مجعد تقف على الرصيف الآخر تنظر إليَّ.. نظرة رهيبة.. وعلى الرغم من بُعد المسافة أشعر وكأنها واقفة أمامي بمتر واحد.. يا إلهي.. قطة سوداء تخرج من المشفى وتجري في سرعة إليها وقفزت في أحضان المرأة..

وفي خطوات واثقة تخطو المرأة نحو المشفى حاملة القطة في أحضانها.. إنها قادمة..نحونا.. وما حدث..

بعد جمع ثلاثة مجانين بغرفة واحدة يستحق..

تُرى..

هل يستحق رواية أخرى؟

لا تندهش..

فقط تمت تلك الرواية على الأقل..

حتى الآن.

«تمت»

* * *

غرفة المحادثة

ميادة: عجبني جدا إن البطل ما بين الاتنين التمرجي.

أدمن: علشان متطفل.. أليست صفة من صفات النساء.

ميادة: ههههه.

ميدو الشقي: القصة ما عجبتنيش.. فيييييك.

أدمن: أزواق يا ميدو.

ميدو الشقي: أنا شفت رسايل مصطفى خلف.. مصطفى خلف.. هو راح فين؟ وفين باقي القصة؟

أدمن: غريبة التناقض، مش انت بتقول مش عاجباك؟ عايز تكملتها ليه؟

ميادة: إيه التطفل ده؟

أدمن: هههههه.

ميدو: لا انت غلطان مش بتطفل ولا حاجة.. مصطفى خلف صاحبي الأنتيم وهو اللي أقنعني إني أدخل منتدى الرعب بتاعكوا.

أدمن: وصله رسالة إني بشكره على الرواية.. وفي انتظار القصة اللي تجمع التلاتة.

ميدو الشقي: من امبارح ما بيردش على موبايله.. روحتله البيت قعدت أخبط ساعتين.. وما بيردش.. مصطفى خلف عايش لوحده.. أهله كلهم في الإمارات.. خايف يكون جراله حاجة.

ميادة: هو بجد ممكن يكون اللي في بالي؟

ميدو الشقي: تقصدي إيه؟!

أدمن: حصيلة الدموي بتزيد.. صاحبك اللي بحترمه بعتلي رسالة فيها الجزء التالت.. وكاتب في الآخر تحياتي، الدموي.. هههههه عيب عليكوا.
ميدو الشقي: الله يسامحك.. انت من أنهي نوع من البشر يا بني آدم؟
ميادة: روحله كمان مرة وخبط على الباب.. بلغ الشرطة.. اعمل حاجة.. يا ساتر.. كأن في هوا سخن جاي من ضهري.. أنا خايفة.
أدمن: أوك.. لو كانت دي لعبة.. فخير رد: ميادة «بلوك».. ميدو الشقي «بلوك».
ميدو الشقي: انت جبان.
ميادة: ببببيقلي اكتبي الرسالة بنفسك.
ميادة: أنا الدموي.. حسبي الله ونعم الوكيل،
أنا ميادة يببببتاللللللاللللللللللللللللل.
أدمن: إيه؟ كي بوردك هنج؟

* * *

قسم فضفضة الأدمن

من الشخص «الكبير»؟
مجرد تعليمات عقيمة..
بشري يلقن بشريا..
بشري خاض معارك عدة..
بشري مخضرم بمجال ما..
مثل «المعلم»..
بحماس يقوم بنقل التجارب للصغار.. معتقدا أنه بذلك يصبح معلما..
هكذا يصبح مبدعا.. ولا يعلم أنه أعطى دروسا لمجرم مستقبلي..
أو لعالم فاضل.. لا يهم طالما يتقاضى أموالا..
وهكذا يضرب عدة عصافير بحجر.. يعطي علما.. ويأخذ نقودا..
وتتناغم هتافات حارة مؤيدة بين الكبار والصغار..
أسراره الكبيرة محفورة بداخل سراديب مغلقة.. ربما يعثر عليها أحد الورثة..
ويلقي بها في أقرب صندوق قمامة.. وبهذا يضيع كل شيء!
يصبح كل كيان مهما بلغ القمة.. هشا.. ضعيفا.. منكسرا..
ولم يجب أحد.. ماذا وراء الإشباع؟!
ترى ما الشيء الذي يلبي إشباعنا من تلك الدنيا؟
أهو التعليم المستمر.. أم التجارب..
أم هو معلم فاضل اكتسب ديكتاتورية من تأييد أحدهم.. أو إحداهن؟
للشهرة غرور..
وأنا قمت باختيار: أغمض الغرور..

كي يعلم الجميع أنني ديكتاتور خفي..
ربما عندما أختفي أسفل الأتربة.. لن يتذكر أحدهم وجهي..
ولا اسمي.. وهكذا أصبح الشخص الغامض الوحيد الذي لقن دروسا..
«أي شخص»..
ولم يخلد ذكراه..
ثرثرت كثيرا!

* * *

غرفة المحادثة

أدمن: شايف أعضاء جداد.. ازيكو يا شباب.

صفر: مرحبا.

منى: أهلا بك يا أدمن.

الصقر: هاااااااااااااي أدمن، إيه أخبارك؟

إيمان مسعود: hi admen،eh a5er el a5bar 3andk w eh el gded ??

الصقر: إيه اللغة الغريبة دي؟ طبعا لو ما اتكلمتش اللغة دي أبقى جاهل.. ولو اتكلمت بيها أبقى شيك وابن ناس؟!

إيمان مسعود: 3ady y3ny.. wfyha eh ya3nyyyyy،،meday2 keda !?lyyyyh

صفر: فيه إن لغتنا بتدهور.. وفي انحدار مستمر.. أشرف لغة وأنقى لغة على وجه الأرض.

إيمان مسعود: أنا مش شايفة فيها حاجة على الإطلاق.. أعمل اللي أعمله.. وهو كلامي هو اللي هيدمر اللغة لوحدي؟ أنا حرة يا أفندم.

الصقر: لو اديتك حريتك كاملة ده هيبقى النبتة اللي تدمر مجتمع كامل، لازم يكون فيه رقيب.. مش الموضوع ده شخصي.. بل عامة.

إيمان مسعود: رأيك احتفظ بيه لنفسك.

صفر: قيود من أجل ترميم الأخلاق.. أحسن من حرية تؤدي للانحلال.. لو خدتوا حريتكم كاملة مش هتعرفوا تعملوا بيها إيه.. لازم قيود.

الصقر: أستاذة «إيمان».. خلي عندك قدر للفهم والاستيعاب، أنا مش شايف

في كلامنا أي عيب.. الموضوع مش شخصي.. قد ما هو موضوع عام.. الحرية فيها تحرر من القيود ثم التسليم التام للشيطان.. والشيطان عايز يمحي تاريخ البشرية كلها.. التحرر فكر شيطاني.. لو على الناس بيفضلوا مثلا مسلسلات رمضان عن الذكر والتفكر.. فيه جيل بحاله اتمحى هويته، الصغيرين أقصد.

أدمن: نتكلم باللغة العربية الفصحى يا شباب، تعالوا نجرب.. بما إن روايتنا باللغة العربية.. ها إيه رأيكم؟

مانجا: أووووووووووووووك.

منى: أوووك أنا كمان.

صفر: فكرة برضه.

إيمان مسعود: أنا هتكلم بالأسلوب اللي يناسبني أو فيه مليون باب للرعب غير المنتدى بتاع الأدمن الغامض بتاعكو ده.

أدمن: الباب مفتوح.. براحتك.

الصقر: يا ريت.. كلنا نهتم بتعليم لغتنا العربية.. الهوية العربية.. اللي عايزين يمسحوها باللغة الفرانكو الجديدة.. لغة الشياكة والأناقة.. لغتنا خير لغات الأرض.. لغة القرآن الكريم.. إزاي نعمل فيها كده؟

أدمن: في ده أقولك معاك حق.

منى: لغة الفرانكو بدعة أنا معاكو.. بس الحجج اليومين دول إن الكي بورد ما بتكتبش عربي.

الصقر: إنه عصر انهيار الأخلاق.. انهيار المبادئ.. حتى اللغة عايزينها تنهار.

أدمن: لغة عربية فصحى يا شباب.. نتمسك بأصلنا شوية.

مانجا: مرحبا.

صفر: أوك «ما رأيك في روايات كتاب الموتى»؟

أدمن: تأخرت كثيرا يا صفر.. لماذا؟

صفر: عذرا يا أدمن، فلديَّ أعمال كثيرة خارج البلاد.. سوف أرسل لك عبر صندوق الرسائل.

أدمن: ذلك أفضل.

منى: لماذا كتاب الموتى تحديدا؟!

الصقر: ذلك لأن الأدمن دموي بعض الشيء.

أدمن: لا لست دمويا.. ولكن انظر حولك.. هلا أصبحت أوصالك ترتعد من رؤية الدماء.

الصقر: الحقيقة لا.

منى: وأنا أيضا لم أعد أخشى الدماء.

أدمن: ذلك ما كنت أقصد.. الدماء أصبحت منتشرة كالنار في الهشيم.. أنت ترى الدماء عبر الشاشات.. وعبر عدسة الواقع أيضا.. لماذا لا أكون واقعيا وأسفك قليلا من الدماء، مثلما برر غيري؟

مانجا: تريد الحقيقة.. أنا لا أحب رواياتك.

أدمن: ذلك شأنك.. الموقع للجميع إذا لم يرُق لك.. فمرحبا بك على كل حال.

مانجا: ابتعد قليلا عن الدماء.. عسى أن تتسع رقعة المعجبين بالصفحة.

منى: معك حق.. أكاد أرى الدماء تلطخ «لابي المحمول».

صفر: وماذا عن رعب من نوع آخر؟

أدمن: ماذا تقصد؟

صفر: مثلا.. لماذا تعتقد بوجود جارك الجديد فعليا ضمن سجلات السجل المدني؟ لماذا لا يكون كائنا آخر؟ ماذا لو كانت السجلات نفسها مزورة؟

منى: ههههههههه.

مانجا: مجنون آخر.

الصقر: وماذا عن المتسولين بالشوارع؟

أدمن: وماذا عنهم أيضا؟

الصقر: السيدة العجوز تجلس بجوار ذلك المسجد.. أراها كملاك هارب من البؤس في كل مرة..

أنقى المخلوقات.. تعطي لها النقود مرددا: «الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى

به غيرنا»..
هل السيدة مريضة؟ لا يبدو.. ولكني أشفق عليها دائما.. أرى في نظراتها شيطانة تحقد عليَّ.. إذًا لماذا لا تكون بالفعل شيطانة من عالم آخر؟ ربما عندما قالت لك أعطيني شيئا لله؟
وقلت «الله يسهلك»! وعند ذهابك تشعر وكأن طوفانا من الحقد.. طاقة من الشر النقي.. تتدفق نحوك.. لماذا لا تكون تلك الطاقة التي تشعر بها حقيقة؟ الإنسان عدو المعتقدات الداخلية!
صفر: وماذا عن الأطفال المتسولين أيضا.. المنتشرين بكل مناطق الجمهورية العزيزة؟
الرجال والنساء.. حالات غريبة.. أجمعوا على شيء واحد فقط.. يجعلك تفرغ ما في جعبتك بسرعة قصوى لهم.. «الإشفاق» إذًا، ليس العمل إذًا!! إذًا نحن نعمل كي نعطي المشفَق عليه.. الكثير لنا.. والقليل لهم.. نظرية! بعيدا عن قروش الزكاة.. هلا تساءلت ذات مرة: أين يسكن هؤلاء الفقراء؟ ولماذا يعطي الطفل البريء نقوده لأحدهم ويأخذ القليل.. بل الفتات؟ من هؤلاء الأطفال؟ ومن الكبار.. الزعيم؟ لا نشغل عقلنا كثيرا.. يكفي أن نقول إنهم يعيشون بالخرابات.. ماذا لو كانوا مخلوقات ما ورائية بالفعل؟
أدمن: بدأت فكرة تكوين رواية رعب حقيقية عن التسول.
منى: ذلك ما تطلقون عليه رعبا جديدا؟
أدمن: ها ها.. تلك أيضا ذُكرت في كتاب الموتى.. ألم تقل منذ قليل كف عن سفك الدماء؟
مانجا: مممممم.
صفر: هل حدث بالفعل أن «قاتل الأحياء» قتل الكثير من القراء هنا؟
أدمن: لا، تلك لعبة من ألعاب الأطفال.
مانجا: تلك جريمة.
صفر: لقد قرأت منذ أيام عن مقتل فتاة أمام شاشة الكمبيوتر.. وبعدها

شاب مختنق بحبل حول عنقه.. يقول الخبر إنه قام بالانتحار.

أدمن: ما اسم الفتاة؟

صفر: سارة السيد أحمد.

أدمن: مجرد مصادفة.. هيا حان موعد روايتك يا صفر.

صفر: والشاب أحمد عطية.. الشهير بـ«ميدو»؟

الصقر: الشقي؟!

أدمن: أيا ما كان اسمه.. ألا توجد رواية هنا؟

مانجا: أملك رواية بعنوان «آخر أبناء قارون».

أدمن: حسنا.. أرسلها.

* * *

قسم الروايات

رواية من الصديق «مانجا»

«آخر أبناء قارون»

الليل أسدل ستره على تلك البقعة من منطقة الفيوم..
وتحديدا نقطة شرطة الفيوم..
هب ضابط شاب بجملة إلى الشخص الوحيد الذي يجاوره، أمين شرطة عجوز، قائلا:
- تلك النوبتجية الثالثة لي بذلك القسم.. ولا جديد.. لا أحداث.. لا حوادث قتل.. لا شيء مطلقا.
تبسم الأمين العجوز وهو يقول:
- كفانا الله شر البشر.. افعل ما يتوجب عليك.. ولا تتمنَّ شرا يا ولدي.
قال الضابط الشاب بمرح:
- ها ها.. لا أتمنى شرا مطلقا.. بل أنا أتساءل.. منذ رحيل الشرطة الفاسدة عن المجتمع أو منذ اندلاع عدة ثورات متتالية.. فقط لم تنبت إثارة ما.. ماذا حدث؟ هل حدث صلح بين الشرطة الجديدة والقتلة واللصوص؟
قال العجوز:
- يا ولدي، أينما يوجد الإنسان لا بد من وجود شر ما.. الشيطان لم يُرهَق بعدُ.
أكمل الشاب باهتمام:
- قل لي.. هل حدثت يوما ما مجزرة بشرية كان صاحبها رجال شرطة مثلا.. ذلك قبل الثورات.. مجزرة حقيقة؟!
أخذ العجوز يفكر مليا قبل أن يتخذ رد الفعل بقول هادئ:
- أتكف عن الحديث والثرثرة لو أخبرتك؟
قال في سرعة:
- أعدك.. فقط كسر صمت حوائط السجن هو ما أريد.. لا يوجد غيري وغيرك.. هيا قُصّ لي واحدة.
قال العجوز في سرعة:
- لا لا، سوف أعطيك ملفا تطلع منه على ما تريد.. ودعني أعمل.

وقف العجوز واتجه إلى «دولاب كبير».. انتقى منه ملفا باسم «ملف مجزرة بحيرة قارون».
وأخذ مسجلا قديما صغير الحجم.. رماه إلى الشاب قائلا:
- وهذا أيضا سوف تحتاجه.
قال الشاب باهتمام:
- وما هذا؟!
قال الرجل بهدوء وهو يمسك بقلم ويدوِّن شيئا ما خاصا بالعمل:
- هذا ما تريده.. دعني أعمل.
فتح الشاب الملف الكبير.. وفتح المسجل الصغير..
وما خرج من ذلك المسجل كان يستحق الانتباه..

* * *

«عبر مسجل صوتي أتى صوت رجل كئيب الصوت..».
تركت «عيادتي» ومرضاي التعساء وذهبت إلى فيلا الفيوم..
في ظل العناد الأحمق لصديقي عليَّ ذهابي إلى الريف واستنكاري وبشدة..
ورغبة مني في الجلوس في حجرتي الصامتة..
بمنزلي المظلم الذي يشعر مثلي بالوحدة ذهبت معه..
إلى تلك القرية في مدينة الفيوم..
في منزله الريفي البسيط المجاور لبحيرة قارون العجيبة..
ارتميت على الأريكة الكبيرة في صالة المنزل.. وانتظرت صديقي حتى يأتي بالحقائب.. فأنا متعب غير قادر على حملها.. وأنا لا أعلم حتى الآن لماذا يتحملني صديقي.. وأنا أعلم أن البشر يبتعدون عني..
ولست ذلك الشخص الودود الذي يفتح لك الباب على مصراعيه مبتسما..
ويذهب مسرعا يحضر لك كوب القهوة الطازج..
بل كنت العكس تماما..

فقد كنت أملّ من الضيف ولا أعلم أصول اللباقة في الحديث..
ولم أكن اجتماعيا بالمرة، بل لم أكن أتحمل أحاديث الناس المفرطة..
كنت أجعلهم يخجلون من أنفسهم أحيانا..
وأحيانا أشعر وكأنهم يريدون قتلي بالسيف.. في كل قطعة في جسدي..
فأنا أستحق.
وأتى صديقي حاملا الحقائب وارتمى هو الآخر على الأريكة وقال في تؤدة:
- لقد أنرت منزلي يا صديقي العزيز.
فقلت في تلقائية:
- لا تبالغ، لم يلبث أن يحل الظلام وترى المنزل مصرا على انقطاع التيار لوجودي.
فضحك صديقي وقال:
- ما زلت كما أنت، حتى ووجهك متهجم، تفجر الضحكات.
فقلت:
- على الرغم من أنني أغضب أحيانا، فإنني سعيد؛ لأني أرسم بسمة صغيرة على شفتي أحد.
قال صديقي:
- ولِمَ التشاؤم يا صاحبي؟ امرح، الحياة جميلة.. وليست كما تتصورها! لقد أتيت بك خصيصا إلى هنا حتى أجعلك تضحك.. وسوف أجعلك تضحك.
- لو كان ذلك رهانا.. فأنت بالطبع الخاسر.
فقال في مرح:
- وأنا أقبل الرهان، هيا لنستريح، فغدا يوم مليء بالتشويق.
فقلت:
- لا.. لا أظنني سوف أغادر هذا المنزل..
فقال صديقي في إصرار:
- بل سوف تخرج، وسوف نذهب إلى الصيد.. لا تنسَ ذلك.

فذهب إلى حجرته وأغلقها دون انتظار رد مني.. وقح مثلي.

وفي اليوم الثاني بعد أن تثاءبت وقذفت ببعض الماء في وجهي رأيت صديقي يرتدي ملابس الصيد ويبتسم ويقول:

- أسرع، أمامنا يوم طويل جميل، لم تعكر صفوه سوى تلك التكشيرة المرتسمة على وجهك.

فقلت له وحاولت جعل الجبال تتحرك، وأن تتحطم الجدران، وأنا أزحزح ابتسامة على وجهي:

- لا عليك، سوف أحاول إزالتها.

وذهبت أنا وصديقي إلى تلك البحيرة العجيبة التي انعكس ضوء الشمس عليها وجعلها تتلألأ في جمال ساحر.. وطيور تحلق في السماء، وكأنها تستمتع بالجمال والهواء..

وأنا منتظر..

وما زلت منتظرا أن تأتي سمكة غبية ولا تتعرف على الطُّعم وتصبح وجبة لي.

وكان صديقي يجني ثمار الانتظار، ويحصل على أسماك غبية كثيرة..

أنا أعلم أنني لست محظوظا.. أنا لا أحب الصيد، وفجأة...

شُدَّت صنارتي في قوة..

وأنا أتمسك بها في قوة، وصديقي في مرح يقول:

- قلت لك سوف تبتسم، سوف تحصل على قرش.

لم أبالِ بتعليق الصديق والعرق يتصبب من على وجنتي في غزارة، والصنارة تجذبني أنا ولست أنا من يجتذبها، وكانت تزداد جذبا.. وتزداد.. وهب صديقي مسرعا يتمسك معي وكأن تلك السمكة تتحدى قوانا، وأوشكنا أن نسقط أنا وصديقي، فقال صديقي: تماسك.. تماسك أكثر.. وخارت قواي، ولم أتحمل، وتسلل اليأس كالأفعى السامة داخلي، وقررت أن أتركها، لكنني عنيد مكابر، وكنت قد قاربت على السقوط في تلك البحيرة، قال صديقي في خوف:

- اتركها.. اتركها.. لا فائدة.

وفي لحظة انتهى كل شيء واختفى الجذب كأنه لم يكن، والشيء العجيب أن الطُّعم كما هو، ولا يوجد شيء.

* * *

تراودني أفكار حمقاء.. بالعودة إلى الديار..
أطل من «البلكون» الواسع.. أرى طريقا أمامه..
بحيرة قارون أمامي.. وكأنها تستفز مشاعري الكئيبة..
ماذا يوجد بداخل الأعماق؟
سمعت قصة عن كنز قارون..
تخاريف.. لا أصدق..
ما ذلك الشيء الذي كاد يقفز بنا من خارج المركب؟
كيف دون أن يمس الطُّعم؟ كيف؟
صعد صديقي.. جلس أمامي..
قال لي بأسلوب مرح:
- تغتاظ من جاذب الصنارة.. أتفكر بالانتقام؟ ها ها ها..
قلت له شاردا:
- كيف والطُّعم لم يمس؟ لا بد من وجود أثر لأسنان تلك السمكة.. أي أثر..
لا بد لي من دراسة تلك الظاهرة.
قال لي:
- افعل ما شئت.. أنا ذاهب الآن.. أتريد بعض الطعام؟
أشحت له بوجهي.. ربت على كتفي وذهب..
تركني غارقا في بحر من الغموض.. أو غارقا بأعماق تلك البحيرة..
لا.. سوف أذهب إلى هناك..

* * *

هبطت الدرج.. وذهبت إلى حافة البحيرة..
هدوء على سطح عجيب.. وكأنهم علموا بوجودي..
صمتت أبراج المراقبة.. واستعد القناص لإطلاق رصاصة تعرف هدفها..
ما بداخلك..
نعم رأيت شيئا ما.. شعر أنثى..
لا تخريف..
رميت حجرا في منتصف البحيرة.. لم يصدر ذلك الصوت (بلوووووع) منها..
ظاهرة غريبة..
أهو مشهد من فيلم خيالي.. بطله رجل مشقوق الوجه..
يقف غريبا وحيدا أمام بحيرة قارون؟
إنه رأس.. كما أرى.. وليس بتمساح.. أو جذع شجيرة..
أطلت برأسها.. إنها أنثى.. ذات شعيرات صفراء..
نصف امرأة.. والنصف الآخر.. سمكة!!
اقتربت مني بهدوء كطائرة.. تزحف على الأرض مستعدة للإقلاع..
وإذا بها أمامي.. ما أروع عينيها..
اقتربت منها أكثر وأكثر..
ثم.. ناداني صوت من بعيد: لا تفعل..
لا تقترب.. وحينها..
لم أستمع إلى أصوات سوى ضغط الماء على أذنيَّ.. ممسكة بيدي.

* * *

أقوال ضابط ارتبط اسمه بالقضية

أغلقت جهاز المسجل أمام أحد الضباط «الصامتين»..
وهو دليل على وجود شاهد عاقل مستمع غيري للأحداث..

وأسجل وأدون ملاحظاتي..
ترى.. هلا فعلها واختفى؟ صديقه قال إنه يعاني الوحدة.. وقرر الانتحار..
العجيب أن نجد جهاز التسجيل بالصباح مبللا.. وكأنه يريد ترك أثر خلفه..
لغز عجيب منذ تولي تلك القضية..
والأمور مبعثرة هنا وهناك.. بداية تلك الرحلة إلى الفيوم.. الذهاب إلى الصيد.. وليلا غرق الرجل.. المتهم الأول.. ذلك الصديق.. لم يكن أحد غيره..
وعند وصول الشرطة.. لم يجدوا أدنى أثر.. وبالوقت نفسه نجد شريطا مسجلا بصوت المفقود.. وبجانبه أدلة البحث الجنائي..
اللعنة.. أحتاج لكوب القهوة الذي يجعل صنبور التركيز يصب مجددا في عقلي..
ما تلك المعادلة العويصة؟ سوف أجري اتصالا هاتفيا:
- «أيمن».. أريد منك إحضار صديق الرجل.. أعلم أنه خرج بكفالة مالية..
أريد بعض الأجوبة.. حسنا بالانتظار.. نعم لن أرحل اليوم.. سلام.
عدت إلى جهاز المسجل الذي تركه الرجل..
وأنا أعاود تدوين ملاحظات لحل ذلك اللغز..
«play».. قمت بتشغيل ذلك الجهاز مرة أخرى..

* * *

ظلام يحمل رائحة البلل.. قلب الرعب..
لطالما كنت أخشى البحار منذ الصغر.. أخشاها ليلا.. أخشى النظر إلى مياه النيل.. ولست أدري لماذا!
فقط يجتاحني رعب غير مبرر، وذلك يكفي.. طرحت عدة أسئلة..
لو انتقيت أبشع ميتة فهي الموت غرقا.. بداخل أعماق بحار تبعد مئات الكيلومترات عن البر.
أما الآن..

فأنا بداخل الرعب نفسه..
مغموس من قمة رأسي حتى أطرافي.. بمياه بحار.. ممسكة بيدي حورية من حوريات البحار.. تمتلك وقودا لدفعي بسهولة.. لست أدري لماذا اجتاحتني مشاعر عدة..
تمنيت بقائي مع تلك الأنثى نصف الآدمية.. الأسماك تحلق طائرة.. أو سابحة في ذلك الكون المائي العميق.. أسماك القرش تبتعد عندما نقترب أكثر من الأعماق..
وكأنها حارسي الخاص.. ضد أشد المخلوقات فتكا..
نمر جوار صخور منقوشة من ذهب.. اتسعت لها عيناي.. جميع البشر ينبهرون عندما يتعلق الأمر بالذهب والمال.. حتى المتشائمون منهم أمثالي..
بلورات عجيبة تنير القاع.. كلما تعمقنا أكثر أرى مخلوقات عجيبة أكثر..
أشباه وحش «لوخ نيس» الشهير تسبح هنا وهناك كطفل وديع ينام بالفراش..
حوريات تسبح بلا هدى.. شاردة..
منازل زجاجية.. يظهر أثاثها المذهب من بعيد.. فراش يلتمع.. بلون أبيض زاهٍ..
كف عقلي عن الأسئلة.. وأنا أرى ما ظننته بالماضي أوهاما قصصية مريضة..
ترى أأقابل ملك البحار لخطبة ابنته الأميرة..
ويحدث خراب بالقاع عندما تصر ابنته على التمسك بذلك البشري..
وتصيبها اللعنة..
تتحول إلى آدمية مثلي..
وتنظر بيأس يوما إلى مياه البحار.. تحدِّث الأسماك والقروش.. تتمنى أن تنال رضا أبيها؟!
عقلي ممتلئ بروايات الأطفال..
وأنا أرى عوالم أخرى بداخل عالمي..

أراهن بكل ما أملك..
أنها لن تجد مني جدوى.. وأصبح حساءً للقروش..

* * *

صوت المسجل

لم يحدث شيء..
فقط تركتني..
أتنشق مياه أعماق البحار.. واضعة حجرا صغيرا خلف أذني.. التصق بأذني..
اختراع واكتشاف علمي خطير محطما القيود أمام الإنسان للتنفس الطبيعي داخل مياه البحار..
أخيرا سوف يتخلى الإنسان عن أنبوبة الأكسجين..
لو كُتب لي الخروج.. لو..!
وذهبَت كما عادت..
وكأنني طفل بحديقة.. لم تلبث أن تعود الأم..
أجيد القلق من السباحة.. والتوتر هو سمة الغموض..
الأسماك بأنواع غريبة.. غريبة حقا.. حتى إنني أنظر متسع العينين إلى سمكة قرش تحمل يد خفاش الليل.. وكأنها تجدف ولا تسبح.. ليست سمكة قرش بالطبع..
تتأهب لرؤيتي.. تكشر عن أنيابها..
تسرع نحوي.. فاتسع الفم.. هكذا أتيت لأكون وجبة للأسماك.. كما ظننت من قبل..
هكذا نهايتي.. يا ويلتى..
أمسكت شيئا ما..

يبدو خفيا.. كان أمامي..
تحاول الفتك به بأسنانها الحادة.. ذيلها الطويل يتمايل..
أرى دماء تنشأ من ذلك الكائن الخفي..
كيف؟!
لم تلبث أن تحورت إلى شكلها الحقيقي.. إنها حورية من حوريات البحار الرقيقة..
لماذا أيها الوحش؟
المسكينة تحاول التملص بعدما أمسك بأسنانه الحادة في أمعائها..
تحركت في بطء نحوها.. تملكني شعور الشهامة..
ليتها فقط لا تموت عندما أصل..
مستحيل!
فقد خرج جزء من أحشائها.. سابحة بالأعماق.. استسلمت لرغبة الوحش..
وهدأت المقاومة.. ابتلعها الوغد..
مثلما تبتلع أفعى «الأناكوندا» فريستها..
أرى ذيلها المتدلي..
يطل من فم تلك السمكة..
لم تلبث أن اختفت تماما في أمعاء الوحش الكبير..
توجه نحوي.. أيها الوغد.. «الحلو» لا يُؤكل بعده «الوِحش»..
هكذا تحافظ الحوريات على وجودها بالاختفاء، كي لا يراها وحوش الأسماك..
أما أنا..
فكنت ظاهرا كقرص الشمس أمام أسنان ذلك الوحش..

* * *

- حمدي مرزوق يا أفندم صديقي وشقيق عمري.. لا أتوقع منه أفعال الأطفال تلك.

قالها صديقه في اهتمام حزين موجها حديثه إلى الضابط «أحمد»..

- الواقع يقول إنه يتلاعب بعقولنا.. يروي روايات الأطفال عبر مسجل.. ماذا يتوقع؟ يعيش في أمريكا؟ الأمريكان وحدهم قادرون على استيعاب الوضع.

قال صديق الرجل في هلع:

- أقسم لك إنه بعيد عن تلك الأفعال.

قال الضابط بعصبية:

- ما دليلك؟

أكمل الرجل برعب:

- صديقي وحيد منذ وفاة والديه.. لا يعرف شيئا سوى روتين قبيح من العمل إلى المنزل.

قال الضابط برعب:

- الشخص اختفى.. ولا يوجد سوى شيء واحد.. سوى اتهامك بقتـ...

يدخل أمين الشرطة مهرولا محولا التقاط أنفاسه:

- يا أفندم.. عثروا على جثة العمدة بجانب البحيرة جوار الخفير.

قال الضابط بعصبية:

- ماذا؟ العمدة!! كيف حدث هذا؟

- رئيس المباحث هناك الآن.. وأنا لست أدري شيئا أكثر مما قلته يا أفندم.

اختطف معطفه بعصبية.. قائلا لأحد الجنود:

- ضعه في الزنزانة حتى آتي.. إنه لا يزال متهما.

انصعق الرجل قائلا:

- لماذا؟! سيدي، أنا لم أفعل شيئا.

وتركه وذهب إلى تلك البحيرة؛ حيث جثة العمدة والخفير..

جوارها ورقة ملقاة على جانب الشاطئ مبللة..
كانت بخط «حمدي».. الرجل الذي اختفى:
- «الجنس البشري يهدد وجودنا.. يجب التخلص منهم.. أساعد في تخليص مجتمع البحار النقي من مجتمع البشر الأسود».

* * *

أقوال أحد الضباط الشهود على الحادث

- الشائعات أغرقت القرية.. وجرائم القتل مستمرة أمام بحيرة قارون.
هكذا قالها بصرامة قائد القوات هاتفا بتلك الجملة كرصاصة بلا هوية.. أمام ذلك الاجتماع المغلق بين ضباط الشرطة، قال الضابط المسئول عن تلك القضية «رامز عواد»:
- تقريبا لم نجد شاهدا واحدا على حوادث القتل.. الجميع يشاهد بالصدفة شخصا ميتا على أطراف البحيرة.
قال آخر:
- جرائم القتل بشعة بحق.. نجد في كل مرة جثة ممزقة الأمعاء؛ حيث وصلنا إلى ذلك الطفل الذي يعاني ارتجاجا بخلايا المخ.. وتم نقله على الفور إلى المشفى.. شاهدنا طفلا صباحا.
قال قائد القوات:
- «رامز»، ماذا عن ذلك المخبول صديق المدعو «حمدي»؟
أخذ شهيقا مرهقا قائلا:
- ما زلنا نتحفظ عليه.. حاولت مرارا الحصول على معلومة واحدة تفيد ولم أجد سوى أنه الصديق المقرب لذلك الرجل.. وأتى به إلى هنا للاستجمام.. وحقيقةً، ذلك الرجل غريب الأطوار.. ربما نحتاج إلى خبير نفسي لمعرفة كون ذلك الرجل يعاني خللا عقليا أم لا.

قال آخر:
- وأنا أؤيد قرار «رامز».. ذلك الرجل ربما يكون مفتاحا للغز.
وآخر:
- تمت إحاطة بحيرة قارون بحاجز من الأسلاك الشائكة ونشر خبر لأهل القرية بعدم الاقتراب.. لكن ذلك لم يمنع القاتل من ارتكاب جريمته وإلقائها بجوار البحيرة.
قال قائد القوات بصرامة:
- كم عدد القتلى حتى الآن؟
قال «رامز» بحزم:
- ٥٦ قتيلا.. بينهم ٣٠ رجلا.. ١٩ أنثى.. وناجٍ واحد هو طفل يبلغ التاسعة من العمر.. يقال إنه نجا بأعجوبة الآن.
ضرب القائد بيده سطح المكتب بعنف قائلا:
- كيف؟
صمت الجميع بغرابة، وكأن القائد ينبه الجميع لوجوده، ناظرين له بحزم عجيب قبل أن يكمل:
- دماء هؤلاء جميعا في أعناقنا.
وساد الغرفة هدوء مخيف ما بين التفكير في أشكال الضحايا.. المسئولية.. وقطع الصمت القائد بهدوء:
- ليذهب الجميع إلى الراحة.. الساعة اقتربت من الرابعة فجرا.. لدينا غدا يوم شاق.
وهمَّ الجميع بالذهاب:
- رااامز.
التفت «رامز» باهتمام إلى القائد الذي التقى حاجباه في غضب قائلا:
- أريدك.

* * *

تنوح زوجة «العمدة» باكية أمام نساء البلدة بمنزل عمدة البلدة.. سمع الجميع صراخا يأتي من الأعلى.. صعد الجميع إلى تلك الغرفة التي تسكن الجانب الأيمن.. لم يلبث أن صرخ الجميع، رجالا ونساء.. الابن الأكبر معلق كاللوحة الزيتية مخترقا صدره سيف طويل الحجم نفذ من ظهره إلى الحائط:

- ابني.. ابنيييييي.

ووقعت الزوجة والأم أرضا في حسرة..

أما بالأسفل فقد شاهد الخفير مشهد رجل أسود اللون يهرع من النافذة طائرا:

- من أنت؟ سوف أطلق النيران.

أتى خفير آخر مسرعا متوجها إليه قائلا في فزع:

- «مسعد» ابن العمدة قُتل بجوار غرفته.. أسرع لأح..

- ذلك الشيء قتله أسرع..

وركضا مسرعين إلى ذلك الاتجاه الآخر.. ضفاف بحيرة قارون.

* * *

- ألم تنطق بعدُ؟

قالها «رامز» بصرامة بداخل وحدة قسم الشرطة موجها حديثه إلى صديق الرجل الذي هرب في أعماق البحار.. أمام قادة الشرطة ومحافظ مدينة الفيوم وطبيب نفسي.

قال الرجل وهو يرتعد:

- أقسم لكم لا أدري شيئا.. لا أدري شيئا.. وسجلت اعترافاتي خمس مرات متتالية.

قال محافظ الفيوم بحزم:

- هل ذلك الصديق كان يعاني حالة نفسية؟ على سبيل المثال يعاني تجاهل الآخرين؟

هنا قال الرجل وهو يرتعد:
- لست أدري.. لللست أأأدري.
التفت محافظ الفيوم بصرامة موجها تركيزه نحو الطبيب النفسي.. الذي أومأ بالإيجاب.
وقال لأحد الضباط مشيرا نحو الرجل:
- يبدو صادقا.
وهنا صاح قائد الشرطة بصرامة واضحة:
- البلد يموت أيها التعس وصديقك هذا يعبث بنا جميعا.. قصص عن الأسماك وعاهرات البحار تلك لن تجدي.. ما غرض ذلك الوغد؟ أفرغ ما في جوفك أيها الحشرة.
وهنا قال الطبيب النفسي لمحافظ الفيوم:
- ما يفعله قائد الشرطة لن يجدي.. أحضرتموني إلى هنا كي أدرس ردود الفعل كي نثبت صدق ذلك المسكين.. وأنا أقسم لكم جميعا إنه صادق.
التفت إليه قائد الشرطة وأطلت من عينيه صرامة ووحشية الكون.. والتفت مرة أخرى إلى الرجل الذي التفت يداه حول صدره في خوف الأطفال.. قائلا:
- هل دعوت صديقك للحضور إلى الفيوم؟
قال الرجل وكأنها آخر جملة ينطقها قبل لفظ أنفاسه الأخيرة:
- قـ... قـ... قال لي ذات مرة إنه يريد زيارتي بمنزلي.. ورحَّبت بتلك الزيارة.
قال الطبيب في سرعة:
- يبدو صادقا تماما.. الرجل يمكنه قول أي شيء للنجاة من الموقف يا حضرات.
- «اخرررررس».
انتبه الطبيب مصعوقا إلى قائد الشرطة الذي أكمل:
- ولا تقل شيئا إضافيا بعد الآن.
قال محافظ الفيوم بصرامة:
- الرجل يؤدي واجبه، دعه يكمل.

قال قائد الشرطة مشيرا بإصبعه نحو الطبيب:
- ذلك الرجل لم يرَ مجرمين من قبلُ يا سيادة المحافظ، لم يتعامل مع تلك الحثالة من قبلُ.
هنا قال الطبيب بهدوء:
- أملك دليلا آخر.. لو سمح لي سيادة المحافظ.
أمسك كوب الماء الذي وُضع بجانبه.. قائلا بالهدوء الرتيب نفسه:
- من الواضح أن قائد الشرطـ...
أمسك عنقه ونظرات الهلع تجتاحه.. وكأنه وسط مياه البحار.. وأخذ يتلوى أرضا كسمكة أُخرجت للتو من البحر..
ساد الهرج والمرج في الحجرة.. حاولوا إسعافه..
وهنا هتف قائد الشرطة بصرامة:
- من الذي أحضر ذلك الكوب؟
نظر أحد الضباط بأسى.. قائلا للجميع:
- مات.

* * *

شهادة إحدى السيدات

قالت زوجة العمدة وقد انتابها مس من الجنون بعد فقدانها زوجها وولدها منذ ساعات قليلة:
- إنها لعنة.. لعنة الجان.
ربتت عليها محاولة تهدئة الأجواء..
أنظر بعينيَّ إلى النساء.. الجميع يذرف دمعا لنواح «السيدة»..
أنظر حولي محاولة إدراك مَن حزينة أكثر..
تلك اللعينة زوجة ابنها.. تنظر لها بنظرات صارمة وخلت ملامحها من بلل

الدموع..
كأنما توجه لها أصابع الاتهام..
لطالما كنا نستمع إلى صراخهما معا.. كانت زوجة الابن على نزاع دائم معها..
حتى لتشعر برغبتها في قتلها كلما ودت العراك معها كلاميا..
الأم كانت تعترض على تلك الزيجة من البداية..
«سمعنا صوتا عاليا».. صوت الزوجة منذ ساعات قبيل موت زوجها برغبتها في مغادرة المنزل أجمع..
صرخ بها الزوج بقسوة.. حتى لانت وانصاعت لرغبته..
وتقدمت النسوة لتقديم واجب العزاء برداء أسود اللون..
تلك المرأة لا تحب أحدا مطلقا.. منزوعة القلب..
هذا.. حتى زوجها لم تبكِ عليه دمعة واحدة.. وهذا كل ما أعرفه..

* * *

شهادة مهمة

شهادة خفير آخر عن مقتل «مهران»..
لم أرَ شخصا في حياتي بمثل هذه السرعة من قبل..
عندما قفز من النافذة.. ركضنا معا أنا و«مهران».. خفير آخر.. نحوه..
أطلق «مهران» النار..
خُيِّل لنا أننا شاهدنا الرصاصة تخترق قدمه اليمنى قبل أن يطير عاليا مخترقا الحاجز الشائك الذي التف حول بحيرة قارون..
واختفى داخل المياه تماما..
حتى لا توجد فقاقيع..
«مهران».. في هرولة خلع جلبابه.. وغاص هو الآخر بالبحيرة..
أخذت بالصراخ هاتفا باسم الأخير.. صراخ الهلع وصوت «مهران» يقول:

- «أنت.. أنت يا.. لماذا...».
قبل أن أجده يطفو ساكنا من بعيد..
وبحيرة أخرى بلون آخر تطفو حوله.. بحيرة بلون الدماء..
طفا شيء آخر واقفا مرتديا ذلك الزي الأسود نفسه.. وكأنما يقول ذلك التهديد الأخير.. لمن تسول له نفسه مطاردتي..
كان ذلك الشيء.. وأمسك برأس «مهران».. ودفعه للأمام.. باتجاه الشاطئ..
وكأنه يعلم أنني لا أدرك فن السباحة.. وجريت مسرعا أنتشل جثة «مهران»..
وأهتف برجال أهل البلدة لنجدتي.. وأسرع الجميع يصرخ باكيا..
«مهران» كان محبوبا في القرية..
وبالعزاء.. ابنه الذي كان مصابا من قبل.. وكان شاهدا تحتاج له الشرطة للإدلاء بشهادته..
شاهدت ظلا أسود اللون كأنه ذلك الشبح.. خارج مكان العزاء..
لا أصدق.. «مهران»..
«مهران».. مات.

* * *

في زنزانة السجن

كان يقبع - في ألم - صديق الرجل الذي تسبب في كل تلك الكوارث.. قال أحد المساجين موجها سؤالا له:
- ماذا فعلت يا رجل؟
نظر له بشرود.. ولم ينطق.. أكمل الرجل بصرامة:
- أنا أتحدث إليك.. ألم تسمع أيها المعتوه؟
- ماذا تريد؟
- تحدث كـ«الرجال».. وإلا أذقتك طعم قبضتي.

ارتعد الرجل أكثر وارتبك:

- لا تفعل بي سوءا.. كل ما حدث أن صديقي أتى من القاهرة وبعدها غاص بالبحيرة ثم... حدثت كل تلك الحوادث.. هذا كل شيء.

نظرات صارمة من ذلك المسجون.. قبل أن يكمل وقد ترفَّق بالرجل، فقال بهدوء:

- وما شأنك أنت بهذا كله؟ أنت لم تفعل شيئا.. أنت لم تقتل.

- يرمون شباك الشك حولي.

- أنت تبدو «ابن ناس».. لماذا لا توكل لك محاميا؟

- لا توجد شرطة بالخارج.. السجن بأكمله بالخارج.. ماذا أفعل؟

- ولكنني سوف أفعل.

- وكِّل لك محاميا.

- لا..

أخرج «مطواة» من جيب بنطاله الخلفي.

وشق أمعاء الرجل..

ينظر له برعب وعينين متسعتين..

جرى مسرعا نحو الزنزانة.. أحد العساكر صارخا:

- «ماذا فعلت به؟ لماذا؟».

قال المسجون ساخرا:

- لم يسألني من أنا.

وضحكات أدمت الزنزانة..

والقسم أجمع.

* * *

شهادة الطفل.. ابن «مهران»

أنتظر والدي أن يأتي لي بالدراجة..
لم يأتِني بها.. فأجلس قرب الشاطئ..
أنتظر أن تظهر مرة أخرى.. ولم تظهر منذ ذلك الوقت..
يجلس رجل بالشرفة.. في المنزل المجاور للبحيرة..
يبدو رجلا قاسي الملامح.. حانت لحظة الظهور..
لا، لا تأتِ أيها الغريب، إنها تؤنسني بعد وفاة أمي..
هي وحدها تعلم ما يكون بي.. هي وحدها ترفق بي..
لا تذهب..
جلس الرجل أمام حافة الشاطئ..
تظهر برأسها.. شعيراتها تشبه إلى حد كبير سلاسل الذهب..
تقترب منه أكثر.. تتمسك بيده..
تغوص معه بداخل المحيط..
ولم تظهر بعدها لي.. سوى بعد بضع ساعات..
ظهرت هي.. أشارت لي بالصمت..
وقامت بالزحف نحو تلك الفيلا.. كيف صعدت الدرج دون أقدام؟!
قامت بصعوبة.. وعند عودتها.. كانت كأنها تحاول التنفس..
وبصعوبة اقتربت من البحيرة..
بيدها حقيبة.. شيء أشبه بحقيبة مدرستي، نظرت إليَّ مشيرة أن أحفظ سرها..
أخبرتها أن أحافظ على ذلك السر.. ولكن بعد موت أبي.. لم أستطع كتمان ذلك السر.. أبي «مهران».. الخفير.
صديقتي تلك لا تقتل أحدا مطلقا..

* * *

جريمة القتل التي أحدثت زوبعة.. شهادة أحد الجنود

- لماذا قتلته أيها الوغد الأحمق؟ أنت قتلت الدليل الوحيد لما يحدث الآن.
وقف السجين في تباهٍ وفخر بما فعله.. ورد في لا مبالاة:
- ثرثار.. غبي.
اقتحم الغرفة فجأة.. قائد الشرطة صافعا باب الحجرة في غضب:
- من الذي قتله؟ هل ذلك هو؟
نظر السجين في سخرية لقائد الشرطة..
لم يتمالك قائد الشرطة أعصابه حتى صفع السجين..
وهنا التف حوله الضباط والجنود..
ممسكين قائد الشرطة الغاضب الذي كاد يودي بحياة السجين إثر لكمات متتالية..
وبعد عدة دقائق جلس القائد أمام ضابط الحالة قائلا بغضب اشتهر به في الفترة الأخيرة:
- ذلك الوغد يُعرض فورا على مشفى للأمراض العقلية.
وصمت الجميع..
إلا السجين.. الذي أخذ يضحك في جنون.. ولم يبالِ بالكدمات والجروح.
باليوم التالي.. أخذنا أمر ترحيل السجين..
وفي أثناء سيرنا بعيدا جانب الطريق الزراعي.. توقفت السيارة.. اشتم السائق رائحة شيء ما.
وقبل أن أستل مدفعي.. انتشر غاز منوم بالسيارة.وعندما أفقت وجدت السيارة والسجين قد اختفيا.. ولم أجد مدفعي.

* * *

عبر صوت المسجل.. الصوت الكئيب نفسه

لم أدرِ شيئا سوى أنني قابع بأعماق البحيرة.. أتنفس ماء..
أرى أسماكا تختلف ألوانها.. وأحجامها.. أسماكا لم أرَ مثلها بحياتي..
بلحظات الشرود وجدت إحدى حوريات البحر تعاود الظهور مجددا..
أمامي.. ملامحها حزينة..
حديث عقلي بحت ترجمته خلايا عقلي.
قالت:
- أتيت بك إلى هنا كي تنزع الشوكة من ظهر إحدى أخواتي.
أشرت لها بجملة عقلية:
- كيف علمتِ أنني طبيب؟
أشارت إلى بأذنها البراقة:
- نستمع إليكم.
- كيف لا أتحدث وأفهم كلماتك.. وتفهمين كلماتي؟
أشارت إلى عقلها..
فهمت..
وهنا التهب حماسي وأنا أشير إليها أن أرسليني لأرى تلك الفتاة..
أمسكت يدي وصعدنا قليلا عبر جبال بحرية..
عبر مغارة تتسع لجسدينا.. اخترقنا الثقب معا.
رأيت حسناء ملائكية تجلس في ألم، وأسنان إحدى الأسماك المتوحشة ملتصقة بظهرها..
وهنا أشرت لها بأنني أحتاج إلى أدوات حادة.. خيط رفيع.. حقا لست أدري أسوف تأتي بتلك الأدوات..
فقلت لها أن أذهب إلى السطح لإحضار حقيبتي.
قالت:

- سوف أذهب أنا.. أنا أسرع.
تركتني بضع دقائق أمام تلك الحسناء..
التي تتألم..
أتت أخيرا.. غريبة، كيف أتت بالحقيبة دون أن يراها أحدهم؟ بل كيف من دون أقدام؟
لم أهتم وأنا أخرج أدواتي من حقيبتي وحاولت تحطيم بطء التحرك داخل الأعماق..
وضعت لها «بنج» موضعيا.. لانت ملامحها قليلا.. المخلب يقترب دون أن يمسسه أحد.. لو مسه أحدهم دون قصد لأودى بحياتها..
أخرجته بهدوء وحكمة..
كيف لتفاصيل جسد الأنثى أن تختلط بجينات الأسماك؟
كيف حدث هذا؟
أيوجد أشكال كثر للبشر؟
لست أدري.. وضعت المخلب جانبا.. وأنا أزيحه جانبا..
قمت بترميم أثر فتحته.. وفي تلك اللحظات.. أتت ثلاث حوريات حسناوات.. يراقبن..
طهَّرت جانب الجرح..
وهنا التفتت إليَّ الحسناء المصابة.. وقلت:
- ستكونين بخير.
تبسمت.. وبنظرات زرقاء اختلطت بمياه البحر.. لست أدري.
الجميع فرحوا وسعدوا.. لقرب شفاء الأخيرة..
وهنا أخذتني الحورية الأولى.. وجلسنا داخل كرة زجاجية..
ولمحت إلى مكافأة.. بالطبع تمنعت..
أخبرتني ببعض الأسرار..
لم أكن أعلم أن بعضا من ذهب «قارون» يختفي أسفل فيلا صديقي العزيز..

والبعض الآخر يختفي أسفل منزل العمدة..
يا ويلتى.. أيختفي كنز أسفل تلك الفيلا الكئيب؟
وهنا لمحت إلى أنه يجب حفظ ذلك السر إلى أن يخترقني الموت..
وعند تلك اللحظات.. لا بد أن أبوح بالسر عبر شيء صناعي..
على الأقل يصدقني أبنائي.
كي يعلموا كيف أتيت بتلك الثروة بالمستقبل..
ولا يظلموني.

* * *

اعترافات قائد الشرطة

كنت جوار السائق.. وبالخلف خمسة جنود..
كنا نسير على ظلال الأشجار في تمام الساعة التاسعة مساء.. في طريقنا إلى القسم.. توقفت السيارة لتغيير الإطار.. كنا بجوار تلك الفيلا القديمة..
توقف نظري على بحيرة قارون..
لست أدري لماذا توقعت حدوث شيء عجيب..
شاهدت رجلا يخرج بنعومة من أعماق البحار..
بجواره فتاة صاحبة شعيرات صفراء.. ذات خلقة بديعة..
شاهدتها تعطيه حجرا ذهبيا..
لا يتحدثان..
علامات امتنان أتت منها.. كان بجواري شخص آخر يُدعى «شيطان»..
وسوس لي بكتمان ما حدث.. ومن تلك اللحظات..
في العاشرة مساء.. اتجهت صوب تلك الفيلا..
مرتديا جلبابا.. تيمة أهل القرية..
نازعا زيي «الميري»..

وجدته هو ذاته.. يتحدث إلى مجهول.. علمت بعدها أنه مسجِّل صغير..
أخذت وحدي أراقب فيلا ذلك المجهول.. لم يهبط مرة أخرى لرؤيتها..
ذهبت ليلا إلى البحيرة..
لم تظهر.. قذفت بحجر.. ابتلعته الماء.. كيف تظهر تلك الحورية؟
ابتعدت عندما أتى صبي صغير..
يهتف بأغنية من الواضح أنها كانت تستدعي تلك الحورية..
كانت تقول:
- «جاتلي عروسة البحر جاتلي.. وبالسعادة والخير جابتلي..
حصان صغير دهبي.. جت هي وندهتلي».
تملكني شيطان.. أسرعت نحوهم.. واختفت حورية البحر بداخل الأعماق..
نظر لي ببراءة وقال:
- لماذا؟ لقد أفزعتها.
قمت بضربه بشومة.. وعندما همَّ أحدهم بإنقاذ الصبي.. هممت بالفرار..
اليوم التالي.. ارتديت جلبابا أسودا.. وقلنسوة سوداء..
وأسرعت نحو الفيلا.. كاللصوص.. وبينما الرجل نائم قمت بضربه على مؤخرة رأسه.. فقد الوعي.. سرقت الحجر الذهبي..
التفت مرة أخرى نحو الرجل وأنا أخرج مسدسي الصغير الذي لا يحمل ترخيصا..
لم أجد الرجل.. «اختفى».. ومن حينها..
تعاون معي الكثيرون.. قتلوا العمدة وولده.. تعاونت معنا زوجة ابن العمدة..
أمرت الكثيرين من رجالي.. ومن المخبرين بالقرية..
منهم من تطوع وبدأ بالقتل العمد..
وبعد مقتل صديق الرجل داخل زنزانة القسم على يد أحد الرجال (مريض نفسي خطر).. أبلغته بمكافأة لو قام بقتل الرجل.. وقام رجالي بخداع رجال

الشرطة الشرفاء.. ونجا المجرم الذي هرب.. وهكذا أخفينا آخر الدلائل..
وبقيت فزاعة البحيرة تجتاح الجميع..
من يقترب يمُت..
حلم الثراء..
كان يتملكني شيطان..
شيطان..
شيطان.

* * *

اعترافات زوجة ابن العمدة

- قالوا لي سوف تنعمين بالثراء الفاحش.. تعاونت معهم على قتل زوجي..
هكذا.. سوف أخبركم من الجناة.. جميعهم.. هل سوف أموت؟

* * *

أمام قاعة المحاكمة

ارتفع صوت وكيل النيابة صارخا:
- سوَّلت لكم أنفسكم قتل أبرياء من أجل حفنة أموال.. كيف رخصت الأرواح لكم؟ أين ضمائركم؟
لتخويف قرية بأكملها أتيتم بشائعة عروس البحر.. وقتلتم الكثير من الأرواح.. كيف يصبح كيان المرء هشا أمام أحلامكم الرخيصة؟ يا سيادة القاضي.. هؤلاء روَّعوا الآمنين.. وأخلوا منازل.. فيلا «...».. ومنزل العمدة.. ولم يطرف لهم جفن وهم يقتلون الأبرياء..

أنا أطالب يا سيادة القاضي بأقصى عقوبة.. ألا وهي الإعدام شنقا.. للجناة الحاضرين أمامكم: قائد الشرطة.. الضابط رامز عواد.. العساكر والجنود.

* * *

ما إن انتهى الضابط الشاب من الاطلاع على الأوراق القديمة حتى قال:

- تلك القضية تصلح فيلم كرتون، ها ها ها.

قال الأمين العجوز:

- لا يا ولدي، كل شيء قابل للتصديق إذا لم تدع لعقلك القدرة على الاستيعاب والتيقن من أن الله يخلق ما لا تعلم.

- أنا أومن بذلك بالطبع.. ولكن كيف لي أن أومن بوجود عروس البحر ببحيرة قارون؟ بل لو كانت كذلك لماذا لم يغوصوا بالأعماق لمعرفة السر بدلا من قتل هؤلاء البشر كلهم؟! أيمكن أن تكون إحدى فتيات قارون نفسه؟

شرد العجوز قليلا حتى قال:

- كنت هنا أثناء الحادث.. وأدليت باعترافي كاملا.. أتعلم ما رأيت؟

- ماذا؟!

- استمعت لحديث قائد الشرطة وهو يأمر مرتدي الزي الأسود بقتل ابن العمدة.

- ألم تحاول منع تلك الجريمة؟ ألم تبلغ السلطات؟

- بالطبع بعدما لم أفلح في منع تلك الجريمة كنت خائفا رعديدا.. قائد الشرطة حين ذاك كان رجلا جبارا عتيدا.. لا يلتفت إلى قطرات الدماء مطلقا.. بعد تلك الجرائم المتكررة.. اقتحمنا الغرفة.. واستمعنا إلى أقوال ذلك المسكين.. الذي خرج من البحيرة.. وأدلى باعترافه بالمسجل الصغير.. ما شاهده بالأعماق.. ولسبب غير معلوم لم يستمع إلى المسجل سوى قائد الشرطة.. كان يعرض مبالغ يسيل لها اللعاب.. بعدها أعد تلك الخدعة الحقيرة.. راح على أثرها الكثير من الأرواح الطاهرة.. بعدما أزال الفيلا ومنزل العمدة بحجة أنهما

ملعونان.. تعلم أن بتلك القصة طبيبا نفسيا.. كان يدرس ردود فعل قائد الشرطة.. وعندما همَّ بكشف شيء ما قتله الملاعين.

قال الضابط باهتمام:

- أتقول إذًا إنهم ظلموا أهل البحار؟ حقا أنا لا أصدق.. ولا أصدق أيضا بوجود مثل تلك المخلوقات.

ابتسم الأمين العجوز:

- أنت قلتها.. ربما هي خرافة صدقها بسذاجة قائد الشرطة.. ولكن قل لماذا لم يجدوا أثرا واحدا لذلك الشخص.. الملقب بـ«حمدي مروان»؟ هل علمت؟

أخذ الضابط الشاب يفكر قليلا قبل أن يقول:

- أنت قلت لي ذات مرة إنه قد جاء شخص ما قالوا إنه شقيق الملقب بالطبيب حمدي. وعاود بناء الفيلا بعد أن وضعتها الحكومة تحت الحظر.. بعد أن أصبحت حفرة عميقة.. بعدما قامت الشرطة الفاسدة آنذاك بحفر تلك الحفرة بحجة وجود جثث الضحايا بالأسفل.. ببراعة إجرامية منقطعة النظير.. وقام أيضا ببناء دار لرعاية المسنين بدلا من دار العمدة.

ذلك الطبيب الملقب أحمد مروان.

قال الأمين بلمحة ساخرة:

- أو ذلك الطبيب الثري.. أحمد مروان.. ذلك الرجل الوحيد الذي لا يمتلك شقيقا.. لا يمتلك سوى عيادة فقيرة.. وصديقا مخبولا يقبع بفيلا الفيوم.

انصعق الشاب قائلا:

- إنه نفسه المدعو حمدي.

ابتسم الأمين:

- الآن صرنا نعلم الحقيقة كاملة.

بنظرات سخرية أكمل الأمين:

- بنيَّ، أنت جديد في ذلك القسم.. أنت لم يمر عليك هنا سوى ثلاثة أيام فقط.. وتكثر في الأسئلة وفتح الملفات القديمة.. أنصحك يا بني أن تقم بعملك

فقط.. ما فات قد مات.
نظر له الشاب في صمت ثم قال:
- معك حق.
وما إن انتهت النوبتجية على حياء وباتجاه الشروق ظهرت الشمس..
ذهب الضابط الشاب إلى ضفاف البحيرة..
ونظر بهدوء إلى البحيرة.. ونظرة امتنان نحو تلك الفيلا وصاحبها..
الذي تولى تربيته بعدما فقد أباه وأمه.. وألحقه بكلية الشرطة..
نظر إلى البحيرة الصامتة..
حتى لمح رأس أصفر ينبت من داخل البحيرة.. لم تلبث أن أشرقت بوجهها الأبيض وعينيها الزرقاوين.. واقتربت باسمة.. قال وهو ممسك بيدها:
- هكذا ظهرت براءتك وبراءة قومك أجمعين.. هكذا أصبحتم أسطورة لا يصدقها أحد.. سواي.. و«هو».
لانت ملامحها إلى الحزن قبل أن يكمل:
- علمت الآن من قتل أبي.. أبي الخفير «مهران».. التحاقي بالشرطة كان من أجله..
ومن أجلك.

«تمت»

* * *

غرفة المحادثة

مروان: ذلك الاختلاف الذي كنت أبحث عنه.. الحديث هنا باللغة العربية الفصحى.

أدمن: بالتأكيد.

مي: لم ترُق لي.. سيئة للغاية.

محمد مصطفى: ههههههههههه.. عروسة البحر دي طلعت قمرررررر.

مانجا: أنا صاحب تلك الفكرة وسوف أقص لكم رواية أخرى ولكم الحكم بالنهاية:

في مدينة الفيوم، في بحيرة قارون، تعود القصة إلى أنه في يوم الثلاثاء ١٣ يوليو عام ٢٠٠٥ في الساعة العاشرة صباحا والشاطئ مليء بالمصطافين وفجأة لاحظ الموجودين على الشاطئ وجود موجة كبيرة في البحيرة وانبعاث أضواء غريبة من هذه الموجة، وأخذت الموجة تتسارع وتخرج منها أمواج متتالية، فخرج الناس بسرعة من البحيرة جريا إلى الشاطئ خوفا مما يحدث، ووقفوا ينظرون تجاه هذه الأمواج، وبعد دقائق معدودة من تصاعد الأمواج فجأة ودون سابق إنذار، كما لو كانت البحيرة انشقت، خرج من البحيرة مخلوق غريب أشبه بفتاة عارية فائقة الجمال والأنوثة، طولها حوالي ١٨٠ سم، شعرها طويل ولونه أصفر ووجهها تشع منه عينان ذهبيتان.. أخذت تخرج جسدها من المياه رويدا رويدا والناس يحدقون في هذه الفتاة التي لم تكن في حقيقة الأمر - كما قال شهود عيان - سوى حورية من حوريات البحر التي نسمع عنها في حكايات ألف ليلة وليلة، ولم يستمر هذا المشهد أكثر من

ثوانٍ معدودة ثم اختفت هذه الفتاة مرة أخرى واختلف رد فعل الموجودين ما بين مهللين ومكبرين وما بين آخرين جروا داخل المياه في محاولة تتبعها وآخرين قاموا بجمع أغراضهم وغادروا الشاطئ على الفور، وكان يوجد على الشاطئ في ذلك الوقت شيخ الصيادين في المنطقة، ويدعى «صابر»، وعندما اتجه له بعض الأشخاص الذين يعرفونه ليسألوه بحكم وجوده المكثف في المنطقة، قال لهم إنه شاهد تلك الفتاة مرة منذ ١٥ عاما وكان موجودا بمفرده على الشاطئ وخرجت له بنفس الطريقة واقتربت منه رويدا رويدا ثم ألقت له بشيء أشبه بالقوقعة ثم غاصت مرة أخرى، إلا أنه خاف وجرى ولم يأخذ الشيء الذي ألقته له، وعندما عاد لمنزله وحكى ما حدث لبعض أقاربه قالوا له إنها إحدى بنات قارون التي تظهر في البحيرة من حين لآخر وتلقي بقطع من كنوز أبيها لسعداء الحظ.

أدمن: نُشر خبر ما في جريدة صفراء تدعى «...» أليس كذلك؟

أدمن: مممممم.. يبدو لي أنني سوف أقوم بقراءتها من جديد.

مانجا: أنا أحمل قصة أخرى.

أدمن: إلا أنت.. هههههه.. تبدو مملا.

مانجا: ....

أدمن: لا تغضب.. أرسلها.

منى: عسى أن يضع سره في أضعف خلقه.

إيمان مسعود: بس القصص دي ناقصة حاجات، أنا مش فاهمة يعني هو طلع ابن الغفير ولا إيه؟

أدمن: إيمان، تحسينا للغة العربية أنا بفضل ما نتكلمش باللغة العامية.. نحافظ شوية على لغتنا اللي اتدهورت.

إيمان مسعود: هههههههه.. حسنا.. كده كويس.

أدمن: تمام.. ده الكلام المظبوط.

إيمان مسعود: لغة عربية فصحى من فضلك.

أدمن: هههههههه.. أين قصتك يا مانجا؟
مانجا: أنا أرسلتها.. أعدك بالإثارة.
أدمن: حسنا.. أنا في الانتظار.. اللعنة.. لقد أتاني هاتف يدعوني للسفر.. أكملوا الحديث.. لا تتوقفوا.
صفر: أمتلك تصويرا آخر لنهاية العالم.
منى: واوووو.
مانجا: أفتِ أيها المفتي.. لِمَ لا وأنت الفتى المدلل هنا؟
أدمن: نهاية العالم لا تأتي بتصور إلا إذا كان ملحميا.
صفر: أحمل الكثير من الروايات الملحمية.
أدمن: حقا؟!
الصقر: ماذا عن باقي رواية ذلك التمرجي؟ ألم يرسلها لك مصطفى خلف؟!
أدمن: بحثت عنها بصندوق الوارد.. وبحثت عنها بجميع المنتديات ولم أعثر عليها بعدُ.
منى: قرأتها من قبل، ألا تتحدث عن رجلين قاما بقص رواياتهما لتمرجي؟
الصقر: أرى بالموضوع برمته خدعة من المؤلف.
صفر: ماذا تقصد؟!
الصقر: تمرجي مثقف.. يعشق علم النفس.. كيف؟
صفر: كل شيء جائز.. لا تنظر للأمر بسطحية.. رجل أتى من الصعيد.. ورجل أتى من أوروبا.. ورجل أتى من عيادة طبيب.. هناك صلة ما تربط بينهم.. أنا أحاول كشف تلك الخدعة حتى الآن.. هناك شيء آخر.
الصقر: وأنا أمتلك تصورا آخر تماما.. لماذا لا يكون «صفر» هو الأدمن؟
أدمن: هههههههه.
الصقر: هناك لغز ما في تلك الجريدة سوف أقوم بفك طلاسمه عن قريب.
صفر: الجريدة تملك الأخبار اليومية: فنية.. رياضية.. سياسية.. اقتصادية.. وقسم خاص لروايات الخيال.. تعتقد أن الأمر خدعة! كيف؟

الصقر: لماذا لم ألاحظ خبر قتل سارة وأحمد الشهير بميدو؟ ماذا يخفي ذلك الأدمن؟

أدمن: ابحث في الظلام دائما ستجد الكثير والكثير من الخيال.

الصقر: أنت يا أدمن تقوم بعمل تجربة جديدة، أن تضع «قاتل الأحياء» في قوائم «البلوك».. يقوم بالدخول ليلا على الأصدقاء.. ثم يقوم بعملية قتل جديدة.. ألا تجدون شيئا مريبا؟

منى: أنا لا أفهم شيئا حتى الآن!

مانجا: بدأ عقلي في استيعاب شيء ما.

صفر: اللعنة تكمن بجهاز الكمبيوتر إذًا.

الصقر: بالطبع.. لم يقتل أحد مصادفة.. كالفيروس.. نعم حقا.. إنه فيروس عصري بدلا من تدمير الآلة يقوم بقتل صانعها البشري.

منى: لا تنطقها.. أنا أرتعد الآن.

أدمن: يا «صقر».. أنا أنسلخ تماما عن تلك الاتهامات.. ضع قصة ما وسوف أقوم بنشرها إن كانت تستحق.. هذا كل ما أستطيع فعله حتى الآن.

الصقر: لماذا إذًا أصبح المقرب إليك العضو «صفر» أكثر من باقي الأعضاء؟!

أدمن: ذلك لأنني أبحث عن رعب قديم وحديث بالوقت نفسه من كتاب الموتى.

صفر: لقد أفقت شرا.. وذلك الشر التصق بالشاشة الصغيرة.. حتى أصبح يقتل فعلا.

أدمن: ذلك هراء.

منى: لا، سوف أخرج من ذلك المنتدى المريب فورا.. وداعا للجميع.

أدمن: كفى هراء يا صقر.

الصقر: سؤال أخير: هل تملك قطعا من كتاب الموتى؟

صفر: من؟! أنا أم الأدمن.

الصقر: كلاكما.

أدمن: ماذا لو كنت أمتلك قطعا؟
صفر: أنا لا أمتلك سوى قلمي فقط.. وبعض معلومات.. فقط.
الصقر: انتم هتموتوا كلكو.. كلكو.
صفر: لا يا جماعة نغير اللغة مش هعرف أكمل بالعربية الفصحى.. صقر انت جاي تهزر؟
أدمن: عايز إيه يا صقر؟
الصقر: ألا تريد معرفة من أكون؟
أدمن: لا.
الصقر: أنا الدموي.
صفر: هو بيدخل بأسامي جديدة شكله.
أدمن: عايز إيه؟
الصقر: حاضر هقولك أنا عايز إيه.. وهبطل أقتل.. ولا انت عندك شك إن اللي ماتوا ما ماتوش.
أدمن: ما يخصنيش.
الصقر: لازم تعرف.. ومش انت لوحدك، الكل لازم يعرف انت مين وعملت إيه.. انت اللي حررت الميت.. وانت اللي لازم تدفع التمن.
أدمن: طيب وليه ما جيتليش أنا الأول.. كنت وفرت؟!
الصقر: لا يا فالح يبقى أنا ما عملتش حاجة.. انت لازم ترجع المفقود.. قبل ما ييجي على اليوم الموعود.
مانجا: أنا ابتديت أخاف على فكرة.
الصقر: دورك جاي.
أدمن: بلوك يا صقر.. كفاية بقى لعب عيال.
أدمن: كأن مفيش حاجة يا جماعة.. نرجع للغة العربية الفصحى من جديد.
مانجا: أنا عندي رواية مرعبة عن البيوت المسكونة.
منى: حسنا، هيا انشرها.. لو كانت سيئة سوف أطلق لقبا جديدا على

«مانجا».

مانجا: لقب؟!

منى: «جوافة».. ههههههههه.

أدمن: هههههههههه.

صفر: ههههههههههه.

أدمن: أعدك بنشرها فور عودتي من الخارج.

منى: متى سوف تعود يا أدمن؟

أدمن: لست أدري.. ولكن أعدك عندما أعود سوف أحمل لكم أخبارا جديدة حقا.

أدمن: وداعا.

* * *

قسم فضفضة الأدمن

تحية خاصة للأصدقاء «مصطفى خلف».. «سارة».. «ميادة».. «ميدو الشقي».. ولست أعلم بالبقية.. لو كنت سببا بموت أحد منهم.. فمنا من استباح دماءكم غدرا من قبل.. حقا لا ذنب لي أعرفه على الأقل..

هؤلاء جميعا..

الذين أكدوا وجود شيء ما لم يخطر على عقلي..

هناك من يعبث بعقلي.. الشيء المريب حقا..

لماذا جعلت الجريدة دون رئيس تحرير معلوم؟

بل لماذا لا أبحث عمَّن يدير جريدتي الإلكترونية؟

ولِمَ لا؟

سوف أغوص في تلك الفكرة قريبا..

ما يثير تفكيري حقا..

هناك شخص يعلم خدعتي..

هناك من يعلم سر هويتي..

هناك من يريد الانتقام..

«كما تدين تدان»..

ارتكابي لأخطاء بالماضي..

يحتاج لرواية رعب دموية..

جوار «المنكود ٣».. «عبر العوالم ٢».. «عصر الظلام ٢»..

بالعودة الكثير من الأسرار..

وداعا.

«المنتدى مغلق للتحسينات».

تمت بحمد لله